

فى ذكرى مئوية ميلاد الإمام الشهيد حسن البنا

معالم المشروع الحضارى فى فكر

الإمام الشهيد حسن البنا

(١٣٢٤-١٣٦٨ هـ - ١٩٠٦-١٩٤٩ م)



دكتور محمد عماره

دكتور محمد عمارة

معالم المشروع الحضارى فى فكر

الإمام الشهيد حسن البنا

[١٣٢٤ - ١٣٦٨ هـ - ١٩٠٦ - ١٩٤٩ م]

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى للناسر

١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م

بطاقة الفهرسة

فهرسة أثناء النشر إعداء الهيئة المصرية العامة

لدار الكتب والوثائق القومية

إدارة الشئون الفنية

عمارة، محمد.

معالم المشروع الحضارى فى فكر الامام الشهيد حسن البنا،
(١٣٢٤ - ١٣٦٨ هـ، ١٩٠٦ - ١٩٤٩ م) / محمد عمارة، ط١ - القاهرة:
دار التوزيع والنشر الإسلامية، ٢٠٠٦.

٨٠ ص: ٢٠ سم.

تدمك: ٩، ٧٧٥ ٢٦٥ ٩٧٧

١ - الإسلام - تراجم. ٢ - البنا، حسن، ١٩٠٦ - ١٩٤٩.

٢ - العلماء المسلمون. ٤ - الإخوان المسلمون.

٩٢٢، ١

أ - العنوان

رقم الإيداع: ٢٠٠٦/٢٢٢٤٢

الترقيم الدولى: I.S.B.N

977 - 265 - 775 - 9

دار التوزيع والنشر الإسلامية



مصر - القاهرة - السيدة زينب ص. ب: ١٦٣٦

٢٥١ ش بورسعيد ت: ٢٩٠٠٥٧٢ - فاكس: ٢٩٣١٤٧٥

مكتبة السيدة: ٨ ميدان السيدة زينب ت: ٢٩١١٩٦١

www.eldaawa.com

email:info@eldaawa.com

[١٧]

بطاقة حياة

* هو حسن أحمد عبد الرحمن البنا [١٣٢٤ - ١٣٦٨ هـ - ١٩٠٦ - ١٩٤٩ م].

* ولد ونشأ في أسرة ريفية بسيطة، تحترف الزراعة بقرية «شمشيرة»، مركز «فوة»، بالقرب من «رشيد» - بلدنا النيل - محافظة «كفر الشيخ» حالياً.

* وكان والده - أحمد - قد سلك - بناء على رغبة والدته - طريق التعليم الديني، بدلاً من فلاحه الأرض. . فحفظ القرآن الكريم. . ثم التحق بجامعة إبراهيم باشا - بالإسكندرية - فدرس فيه منهاج التعليم الأزهرى. . ثم امتحن - لتحصيل العيش - مهنة إصلاح الساعات، في محل أخاج محمد سلطان الذي كان عالماً صالحاً. . وعضواً بجمعية «العروة الوثقى» - التي كان جمال الدين الأفغانى [١٢٥٤ - ١٣١٤ هـ - ١٨٣٨ - ١٨٩٧ م] رئيساً لها. . والشيخ محمد عنبه [١٢٦٥ - ١٣٢٣ هـ - ١٨٤٩ - ١٩٠٥ م] نائب رئيسها - ولذلك، كان محل إصلاح الساعات هذا - حيث عمل الوالد - ملتقى عند كبير من العلماء والوجهاء الذين عايشهم وسمع منهم وتأثر بهم والد حسن البنا. .

* وبعد فراغ والده - أحمد - من تحصيل العلم بجامعة إبراهيم باشا. .

وبعد إتقان الصنعة -إصلاح الساعات- عاد إلى تفرته «شمشيرة»، فتزوج.. ثم انتقل بزوجته ووالده -عبد الرحمن- إلى مدينة «المحمودية» -بمحافظة البحيرة- مشغلاً بصناعة إصلاح الساعات.. ومواصلاً الاشتغال بالعلم، وخاصة علم الحديث النبوى الشريف.. كما عمل مادوناً شرعياً.. ومارس الخطابة فى مساجد المحمودية.

* وفى عام انتقال الوالد -أحمد- إلى مدينة المحمودية ولد له ابنه البكر حسن -فى يوم الأحد ٢٥ شعبان سنة ١٣٢٤هـ- ١٤ أكتوبر سنة ١٩٠٦م..

* ولأن والده -أحمد- قد احتضن كل مسانيد الحديث النبوى الشريف.. وجميع مذاهب الفقه الإسلامى، فلقد وجه ابنه حسن للدراسة الفقه على المذهب الحنفى.. ووجه أخاه الثانى -عبد الرحمن- للدراسة على المذهب المالكى.. وأخاه الثالث -محمد- للدراسة على المذهب الحنبلى.. وأخاه الرابع -جمال- للدراسة على المذهب الشافعى.. فنشأ حسن البنا فى أسرة تحضن وتعتز بجماع تراث الإسلام..

* ولقد تعلم حسن البنا من والده حرفة إصلاح الساعات، ومارسها.. كما تعلم حرفة تجليد الكتب، ومارسها.. وذلك سيرا على سنة العلماء -التي سلكها والده- فى التعيش من الحرف والصنائع، ليكون علمهم مهذولاً لوجه الله وخدمة الناس..

* وفى مدينة المحمودية.. وبعد مرحلة التعليم فى الكتائب، التحق بمدرسة الرشاد الدينية لمدة أربع سنوات -بين الثامنة والثالية عشرة من

عمرو- [١٣٣٣هـ-١٩١٥م-١٣٣٨هـ-١٩٢٠م].. وكان صاحب هذه المدرسة -الشيخ محمد محمد زهران- على حظ من العلم والثقافة، يصدر مجلة دينية لغوية أدبية اجتماعية اسمها «السعادة»..

* ثم التحق حسن البنا بالمدرسة الإعدادية.. التي بدأ ينشط فيها، فرأس «جمعية الأخلاق الأدبية».. كما التحق -عضواً- بجمعية «منع المحرمات» -الرية- التي كونها مع بعض أقرانه..

* وبعد المدرسة الإعدادية التحق بمدرسة المعلمين بدمهور.. وفيها انخرط في «الطريقة الخصافية»، وباع شيخها السيد عبد الوهاب الخصافي -في ٤ رمضان سنة ١٣٤١هـ ٢٠ أبريل سنة ١٩٢٣م- وواظب على «حلقه ذكرها».. وكانت هذه الطريقة الصوفية -الخصافية- من أكثر الطرق بعداً عن البدع والخرافات، ومن أقربها إلى الالتزام بالشرعية، والاهتمام بمناهج الإصلاح الخلقي والاجتماعي..

* وأثناء تنقله بين دمنهور والمحمودية لاحظ نشاط الجماعات والإرساليات التبشيرية الإنجيلية، التي دخلت مصر في ركاب الاستعمار الإنجليزي، وبدعم من الكنيسة الأمريكية.. والتي «أخذت تبشر بالمسيحية في ظل التطبيق وإيواء الضيعة وتعليم التطير»..

فقام -مع عدد من زملائه- بتأسيس «جمعية الخصافية الخيرية»، والتخب سكرتيراً لها.. وأخذت هذه الجمعية تمارس الدعوة إلى الأخلاق، ومقاومة المنكرات.. ومحاربة الإرساليات التبشيرية الإنجيلية..

« وعندما قامت ثورة مصر الكبرى [١٣٣٧هـ - ١٩١٩م] رادت من تفتح وعيه الوطني ونضجه السياسي.. فشارك في مظاهرات الثورة - وكانت منه إبان الثورة بين الرابعة عشرة والسابعة عشرة.. وعندما فاطم الشعب المصري - أثناء الثورة - لجنة «ملتر» - الإنجليزية - نظم حسن البنا في ذلك شعراء جاء فيه:

يا ملتر ارجع لميل وقدما يباريس أقام
وارجع لقومك قل لهم لا نخدعوهم بالثام

« وإبان تلك الثورة، توفي - بالمنفى - الزعيم الوطني المجاهد محمد بك قريد [١٢٨٤ - ١٣٣٨هـ - ١٨٦٨ - ١٩١٩م] - زعيم الحزب الوطني - فلهذا نبأ وفاته حسن البنا فنظم في ذلك قصيدة مطلعها:

أفريد نم بالآمن والإيمان أفريد لا تجزع على الأوطان

« وبعد مرحلة مدرسة المعلمين - بدمنهور - انتقلت الأسرة إلى القاهرة، لتكون بجوار ابنها البكر حسن البنا، ليلتحق بدار العلوم - في العام الدراسي ١٩٢٣م / ١٩٢٤م.

« وفي دار العلوم تتلمذ حسن البنا على عدد من علماء ذلك العصر.. وكان من بين الأساتذة الذين تأثر بهم الشيخ أحمد بدير [١٢٩٥ - ١٣٤٧هـ - ١٨٧٨ - ١٩٢٩م]، الذي كان قد تتلمذ على الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده.

« وفي القاهرة - وهو طالب بدار العلوم - عايش زلازل:

- سقوط الخلافة الإسلامية سنة ١٩٢٤م.

- وصدر عدد من الكتب التي صادمت ثوابت الإسلام.

- كما صدمته عواصف التعريب الفكرى والانحلال الخلقي، التي كانت غريبة عن المجتمع المحافظ الذي ألفه وخلفه في الريف، وفي المدن شبه الريفية -المحمودية... ودمنهو- فلقد وجد «الكثير من مظاهر التحلل والبعد عن الأخلاق الإسلامية في كثير من الأماكن التي لا عهد له بها في الريف المصري... وظهرت كتب وجراند ومجلات كل ما فيها يتضح بهذا التفكير الذي لا هدف له إلا إضعاف أثر أي دين أو قضية عليه في نفوس الشعب...».

« وإلى جانب الآلام الذاتية التي عاشها من هذا الذي رآه وقرأه بالقاهرة... أخذ يفكر في مصير الأمة التي أراد الأعداء دفعها إلى هذا المصير... وبعبارة: «كنت متأسلاً أشد الألم، فها أنذا أرى الأمة المصرية العزيزة تآرجح حياتها الاجتماعية بين إسلامها العزيز الغالي، الذي ورثته وحمته وألفته وعاشت به واعتز بها أربعة عشر قرناً كاملة، وبين هذا الغزو الغربي العنيف المسلح المجهز بكل الأسلحة الماضية الفتاكة من المال والجاه، والمظهر والمتعة والقوة ووسائل الدعاية. وكان يتفكر عن نفسه بعض الشيء الإقصاء بهذا الشعور إلى كثير من الأصدقاء الخالصين من زملائنا الطلاب بذار العلوم والأهر والمعاهد الأخرى...».

« وكانت المكتبة السلفية -لصاحبها العالم المجاهد محب الدين الخطيب [١٣٠٣ - ١٣٨٩هـ - ١٨٨٦ - ١٩٦٩م]- مكان شكواه ومتدنى

محاوراته مع العديد من العلماء والطلاب .. وكذلك كانت دار مجلة [المنازل] .. لصاحبها العالم المجاهد الشيخ محمد رشيد رضا [١٢٨٢- ١٣٥٤ هـ ١٨٦٥ - ١٩٣٥ م] .. والتي كان يفر إليها العديد من تلاميذ الأفغانى ومحمد عبده ..

« وعندما كان بهم بمغادرة مقاعد الدراسة بدار العلوم، ويدلف إلى ميادين الحياة العامة، أعلن عن «أمله .. وخطته» .. وذلك عندما كتب في امتحان مادة «الإنشاء»، جواباً على سؤال أستاذه أحمد يوسف نحاسي:

- «أشرح أعظم أمالك بعد إتمام دراستك، وبين الوسائل التي تعدها لتحقيقها» .. »

.. فكانت إجابة حسن البنا - في «ورقة الإجابة» - تقول:

«إن أعظم آمالى بعد إتمام حياتى الدراسية أملان:

١- خاص: وهو إسعاد أسرتى وقرابتى.

٢- وعام: وهو أن أكون مرشداً معلماً، إذا قضيت فى تعليم الأبناء سحابة النهار، قضيت ليلى فى تعليم الآباء هدف دينهم ومنابع سعادتهم .. تارة بالخطابة والمحاضرة، وأخرى بالتأليف والكتابة، والثالثة بالتجول والسياسة.

وقد أعددت لتحقيق الأول: معرفة بالجميل.

ولتحقيق الثانى، من الوسائل الخلقية: «الثبات والتضحية» .. وهما ألزم للمصلح من ظله، وسر نجاحه كله .. ومن الوسائل العملية: درساً

طويلاً، سأحاول أن تشهد لى به الأوراق الرسمية، وتعرفا بالذين يعتقدون هذا المبدأ أو يعطفون على أهله، وجسماً تعود الحشونة على ضالته، وألف المشقة على نحافته، ونفساً بعثها لله صفقة رابحة، راجياً منه قبولها، سنائه إتمامها.

ذلك عهد بينى وبين ربى، أسجله على نفسى، وأشهد عليه استاذى فى وحدة لا يؤثر فيها إلا الضمير... .

فكان العهد... والصفقة... والمبايعة... التى كانت أربع صفقات القرن الرابع عشر الهجرى!...

✽ لقد تخرج حسن البنا من دار العلوم... وحصل على دبلومه سنة [١٣٤٦هـ سنة ١٩٢٧م] - ولم يكن قد أتم يومئذ عامه الواحد والعشرين... وكان ترتيبه الأول على دفعته... ولقد رشح للسفر إلى باريس للدراسات العليا... لكنه تنازل عن حقه فى الابتعاث، مفضلاً البقاء بمصر للعمل على تحقيق الأهداف التى حددها لنفسه فى هذه الحياة... .

✽ ولقد عين مدرساً ياحدى المدارس الابتدائية بمدينة الإسماعيلية فى سبتمبر سنة ١٩٢٧ - ربيع أول سنة ١٣٤٦هـ - وفى الإسماعيلية رأى من «الحدوافر - المستقرة» أكثر مما رآه فى القاهرة... رأى نماذج الاحتمال والاستغلال الأجنبى مجسدة أمام سمعه وبصره... ورأى التغريب الثقافى والاجتماعى يتحدى هوية الأمة وكرامتها:

«فهذا المعسكر الإنجليزى فى غربها بيأسه وسلطانه، يبعث فى نفس كل وطنى غيور الأسى والأسف، ويدفعه دفعاً إلى مراجعة هذا الاحتلال

الغبهر، وما جره على مصر من نكبات جسام. وهذا المكتب الأنيق الفخيم. مكتب إدارة شركة. قناة السويس في سيطرته، واستخدامه للمصريين ومعاملته إياهم معاملة الاتباع المنضطحين. وإكرامه للأجانب ورفعهم إياهم إلى مرتبة السادة والحاكمين.

وهذه المنازل الفخمة المنتشرة في حي الإفرنج يكمله. ويسكنها موظفو الشركة الأجانب. وتقابلها مساكن العمال العرب في ضائقها وصغر شأنها. والشوارع كلها تحمل لوحات لم تكتب إلا بلغة هذا الاحتلال الجاثم على صدورهم. حتى شارع المسجاء كان مكتوباً هكذا Rue Du Mos- quee . ١١١

وفي الإسمايلية. دعى هذا المشايخ، وتلك الملايكات. قرر تأسيس جماعة الإخوان المسلمين. وتوجه بدعوته إلى مختلف شرائح الأمة وقادة الرأي فيها:

- إلى العلماء أولاً.

- وشيوخ الطوائف ثانياً.

- والأعيان ثالثاً.

- والاندبة رابعاً.

وكان أول المستجيبين لدعوته ستة رجال، جميعهم من العمار الحرقيين. تأسس بهم الجماعة في ذي القعدة سنة ١٣٤٧ هـ - أبريل / مايو سنة ١٩٢٨ م.

❖ وكان للمرأة - منذ البداية - نصيب في الدعوة . فأسس حسن البنا - بالإسماعيلية - "معهد أمهات المؤمنين" لتربية النوات تربية إسلامية صالحة . . كما أسس - بالجماعة - "قم الأخوات المسلمات" .

❖ ومن الإسماعيلية انتشرت الدعوة وتنظيمات الجماعة وأشعبها إلى مدن مصر وقراها . وتحققت حدود مصر إلى مختلف أنحاء عالم الإسلام . بل وإلى مواطن الجاليات الإسلامية خارج عالم الإسلام .

❖ وفي سبيل الدعوة والجماعة زار الأستاذ البنا ثلاثة آلاف قرية مصرية - من بين قرى مصر البالغ عددها يومئذ أربعة آلاف - !! وذلك شبر المدن . الكبير منها والصغير .

❖ وغير الحفنة - التي لم يكن يحارث فيها - كانت الصحافة . مبداء الدعوة . قاصد من المجلات والصحف :

- ١ - مجلة [النار] الشهرية .
- ٢ - ومجلة [الشهاب] الشهرية .
- ٣ - ومجلة [النير] الأسبوعية .
- ٤ - ومجلة [التعارف] الأسبوعية .
- ٥ - ومجلة [الكتكول] الجديدا .
- ٦ - وجريدة الإخوان المسلمين الأسبوعية .
- ٧ - وجريدة الإخوان المسلمين نصف الشهرية .
- ٨ - وجريدة الإخوان المسلمين اليومية .

* ولقد رشح نفسه للانتخابات البرلمانية مرتين - بدائرة الإسماعيلية - الأولى في انتخابات سنة ١٩٤٢م .. ثم تنازل عن الترشح بطلب من الحكومة، بناء على ضغط وتهديد من المحتلين الإنجليز، والثانية في انتخابات سنة ١٩٤٤ / ١٩٤٥م ..

* وكان الأستاذ البنا وجماعته في طليعة القوى التي وعت خطورة القضية الفلسطينية، وجاهدت في سبيلها منذ الثورة الفلسطينية سنة ١٩٣٦م، فرفعوا شعارات الجهاد لإنقاذ فلسطين من المخطط الصليبي الصهيوني .. كما كانوا في طليعة الذين أعدوا العدة للجهاد المسلح .. وخاضوا معاركه على أرض فلسطين سنة ١٩٤٧ / ١٩٤٨م .. قبل وبعد دخول الجيوش العربية إلى أرض فلسطين في مايو سنة ١٩٤٨م.

* وفي مايو سنة ١٩٤٦م حماد ثاد ١٣٦٥هـ .. استقال حسن البنا من وظيفة مدرس ابتدائي .. بعدما يقرب من تسعة عشر عاما قضاه في التدريس .. ويومها كان قد بلغ «الدرجة الخامسة» [!!!] بحكم «قانون الموظفين المتسنيين» !! ..

* وبضغط من الاستعمار .. وخوفا من قوة الجماعة .. وخاصة بعد تجربتها الجهادية في فلسطين .. صدر الأمر العسكري بحل الجماعة في ٨ ديسمبر سنة ١٩٤٨م - صفر ١٣٦٨هـ .. وكان عدد أعضائها يومئذ نصف مليون عضو .. معهم من الأعضاء المؤازرين أضعاف هذا العدد .. ولها من «الشعب» المتشرة في مصر ما يزيد على ٢٠٠٠ شعبة !! ..

« وتسارعت الأحداث ، واغتيل الأستاذ الإمام الشيخ حسن البنا - بالقاهرة - في ١٢ فبراير ١٩٤٩م - ربيع ثان سنة ١٣٦٨هـ . فصعدت روح هذا الرجل الملقب المبارك إلى بارئها ، بعد أن بذر البذرة التي أنبتت الشجرة الطيبة ، التي امتدت أغصانها وأوراقها وثمراتها إلى كل أنحاء الكوكب الذي نعش فيه . والتي بارك الله فيها كما لم يبارك في بلدة من البُلدور الكثيرة التي بذرت في ذلك التاريخ ! »

« أما الثقافة التي صنعت هذا العقل المتقود . وصاغت هذا المشروع الإصلاحي . فإنها كانت مزيجاً من :

- ١- فقه القرآن الكريم . . .
- ٢- وفقه الهدى النبوي الشريف - حديثاً وسيرة وحقيقا - .
- ٣- وفقه الواقع المعاصر والمعيش - مصرياً . . وعربياً . . وإسلامياً . . وعالمياً . .
- ٤- والتصوف الشرعي . البريء من البدع والخرافات . . والذي أخذته عن الطريقة الحصافية ، التي تأثر بشيخها السيد حسين الحصافي . وقال عنه :

« وكان أعظم ما أخذ بمجامع قلبي وملك على لبي من سيرة الشيخ الحصافي - رضي الله عنه - شدته في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وأنه كان لا يخشى في الله لومة لائم ، ولا يدع الأمر واليهي مهما كان في حضرة كبير أو عظيم . . »

- ٥- والسلفية التجديدية الواعية التي أخذها عن الأستاذ صاحب الدين الخطيب .
- ٦- والعقلانية المؤمنة التي تشيع بها عن المدرسة الإحيائية الإصلاحية جمال الدين الأفغاني . . . ومحمد عبده . ورشيد رضا .
- ٧- والمعارف العامة والإنسانية، التي رأها «حكمة» هي صلاة المؤمن، التي وحدها فهو أحق الناس بها .

﴿ ومن كلامه الجامعة . . . وذات المغزى . . .

١- عن الإسلام الثورة:

«إن الإسلام ثورة بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى . . . يزلزل الأوضاع الفاسدة، ويحطم صروح البغي والعنوان الشامخة ويجدد معالم الحياة وأوضاعها، وينبئها على آتت اندحارها . . .

إنه ثورة على الجهل . . . ولثورة على الظلم بكل معانيه: ظلم الحاكم للمحكوم . . . وظلم الغني للفقير . . . وظلم القوى للضعيف . . .

ولثورة على الضعف بكل مظاهره ونواحيه: ضعف النفوس بالشح والإثم . . . وضعف الرؤوس بالعمى والعمى . . . وضعف الأيدى بالسهوات والسنم . . .»

٢- وعن تحرير مصر:

«أيها المصري أيها المصرية، أيها الشرقي أيها الشرقي، علموا أولادكم منذ نعومة أظفارهم أن يكرهوا وأن يمسقوا وأن يلعنوا الإمبراطورية البريطانية، كما يعلم الآباء الإنجليز أبناءهم أن يحبوا إمبراطوريتهم».

تصرفوا بطريقة تجعل على الإنجليز أن يراحموا قلوبا تكرههم وألسنة تلعنهم وآبادى تلبحهم... وإنه لا باب للحرية سوى باب العدا، الصريح للبرطانياء، والإعداد الكامل والجهاد الوثائب، ومرحبا به ليحق الحق ويبطل الباطل ولو أكره المحرمون!».



٣- وعن النقاد فلسطين:

«إن فلسطين هي قلب الشرق النابض، وموطن مقدسات مسلميه ومسيحييه على السواء».

«إن الشعب الفلسطيني هو من ملأه العنقاية الفاتحين... إن ثرى فلسطين قد روى بدماء عشرات الآلاف من صحابة بيبا محمد عليه السلام». «إن قضية فلسطين هي قضية العالم الإسلامي بأسره، وهي غير قابلة للتفاوض، وقياس هيبته وقوته».

«إن اليهود في فلسطين خطف داهم على سياسة الشرق العامة ومغامعهم في الوطن القومي غير محصورة، فهم لا يقتصرون على فلسطين، ولكنهم يستحيقون الأرض من كل جانب، وهم خطر على

* وعندما سئل هذا الرجل الربانى المثلهم، الذى كان من أبرر مجدى الإسلام فى القرن الرابع عشر الهجرى - العشرين الميلادى . . . والذى أكرمه الله فاستجاب دعوته، ورزقه كرامة الاستشهاد فى سبيله - . . . عندما سئل:-
- من أنت ؟؟

كان جوابه: «أنا:

* سائح يطلب الحقيقة . .

* وإنسان يبحث عن مدلول الإنسانية بين الناس . .

* ومواطن ينشد لوطنه الكرامة والحرية والاستقرار والحياة الطيبة فى ظل الإسلام الخفيف . .

* ومتجرد أدرك سر وجوده - فنادى: إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له، وبذلك أمرت، وأنا من المسلمين».

تلك السطور - مجرد سطور - من «بطاقة حياة» هذا الإمام الشهيد - عليه رحمة الله - (١).

(١) انظر فى ذلك: حسن البنا [مذكرات الدعوة والداعية] طبعة القاهرة - دار الشهاب - بدون تاريخ. ود: إبراهيم البيومى غانم [الفكر السياسى للإمام حسن البنا] طبعة القاهرة - دار التوزيع والنشر الإسلامية - القاهرة سنة ١٤١٢ هـ ١٩٩٢ م. والبروكلى - خير الدين - [الأعلام] طبعة بيروت الثالثة. ومحمد عبد الجواد [تقويم دار العلوم] المجلد الأول طبعة القاهرة سنة ١٤٤١ هـ ١٩٩٠ م. ود: محمد عمدة [الصحوة الإسلامية والتحدى الحضارى] طبعة القاهرة - دار الشروق - سنة ١٩٩١ م.

[٢]

التأسيس لليقظة الإسلامية الحديثة

على امتداد أوطان الأمة الإسلامية - من «غانة» - غرباً - إلى «فرغانة» - شرقاً . . . ومن حوض «نهر الفولجا» - في «الشمال» - إلى جنوبي «خط الاستواء» . . . بل وفي مواطن الأقليات الإسلامية خارج عالم الإسلام . . . إذا نظر الباحث المنصف إلى ظواهر البعث والإحياء والنهضة والتجديد والإصلاح، ومشروعاتها الحضارية النهضة، وحركاتها وتنظيماتها . . . فسيجد أن ظاهرة الصحوة الإسلامية، ومشروعاتها الحضارية، هي أقوى وأكبر وأخطر وأعسق ظواهر العصر الذي نعيش فيه . . . يستوى في ذلك التقييم، والتسليم بتلك الحقيقة، الباحثون المؤيدون أو المناوئون لهذا المشروع وتلك الحركات! . . .

والحقيقة الثانية: التي لن نجد عليها خلافاً بين الباحثين، ولا بين حركات هذه الصحوة الإسلامية المعاصرة وتياراتها، هي الأبهة والأمانة والريادة التي يمثلها الإمام الشهيد الشيخ حسن البنا [١٣٢٤ - ١٣٦٨ هـ / ١٩٠٦ - ١٩٤٩ م] بالنسبة لهذه الظاهرة الكبرى - التي تمثل أمل النهضة لدى المسلمين . . . ومصدر القلق المزعج والخيف لأعداء الإسلام والسلمين! . . .

أما الحقيقة الثالثة: في هذا المقام - فهي أن أبوه حسن البنا وإمامته وريادته لهذا الإحياء الإسلامي المعاصر، إنما تمثل «الحلقة المعاصرة» في

سلسلة حلقات هذا الإحياء الإسلامي الحديث . إنها مرحلة متميزة في «الكم» و «الكيف» . ولكنها امتداد متطور لمرحلة «النشأة» و «التبلور» ، التي تمثلت في حركة «الجامعة الإسلامية» ، التي ارتاد ميدانها ورفع أعلامها رائد الإحياء الإسلامي في العصر الحديث: فيلسوف الإسلام وموقف الشرق جمال الدين الأفغاني [١٢٥٤ - ١٣١٤هـ / ١٨٣٨ - ١٨٩٧م] . والتي كان الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده [١٢٦٦ - ١٣٢٣هـ / ١٨٤٩ - ١٩٠٥م] المهندس الأول لتجديدها الفكري . كما مثل الشيخ محمد رشيد رضا [١٢٨٢ - ١٣٥٤هـ / ١٨٦٥ - ١٩٣٥م] الامتداد، الذي حمل رسالتها - عبر مجلة [المنار]- إلى العالم الإسلامي على امتداد أربعين عاماً [١٣١٥ - ١٨٩٨م / ١٣٥٤هـ / ١٩٣٥م] . ثم أسلم أمانتها إلى الشيخ حسن البنا .

* الذي واصل إصدار [المنار] لعدة سنوات .

* والذي اتخذ في تفسير القرآن الكريم من حيث انتهى رشيد رضا .

الذي سبق وواصل تفسيره من حيث انتهى محمد عبده .

* والذي حافظ -في البرنامج الشقيفي لجماعته- على تدريس كتب: [رسالة التوحيد] و [الإسلام والنصرانية مع العلم والمادية] -للإمام محمد عبده- و [طوائع الاستبداد ومصارع الاستعباد] - لعبد الرحمن الكواكبي [١٢٧٠ - ١٣٢٠هـ / ١٨٥٤ - ١٩٠٢م] .

وذلك لتأكيد قسمة «التواصل» و «الامتداد» . مع «التطور» الذي

انتمت به الظاهرة الإحيائية والتجديدية -على يديه- إلى «الكيف» الجديد والمعاصر، الذي استجاب ويستجيب لمنغبرات الواقع... والتحديات...



لقد بدأ المشروع الحضاري الإسلامي، على يد الأفعى، حركة تجديد واجتهاد وإحياء، تستهدف تحرير العقل المسلم من أغلال الجمود والتقييد. لمواجهة ويتجاوز النخلف الموروث عن الحقبة «الملوكية - العثمانية»، وليتمكن من مواجهة التحدي الحضاري الغربي، الذي اقتحم حياتنا الفكرية وواقعنا الإسلامي في ركاب الغزوة الاستعمارية الأوروبية الحديثة... وبعبارة الإمام محمد عبده: فلقد أوحى الألغالي عتايته خلل عند الأوهام عن فوائد العقل... أما مقصده السياسي: فهو إيهام دولة إسلامية من ضعفها وتبنيها للقيام على شئونها، حتى تلحق الأمة بالأمم العزيرة، والدولة بالدول القوية فيعود للإسلام شأن وتلدن الحبيبي مجله... (١١).

ولأن المشروع الحضاري الغربي -الغزوي- قاد وضعياً علمانياً لا دينياً... فلقد كان شعار هذه اليقظة الإسلامية الحديثة: «الإصلاح بالإسلام». لتيسير مشروعيها عن هذا المشروع الغربي... ولكني تعود الأمة لمواصلة نهضتها الحديثة. انطلاقاً من الأصول الإسلامية الجوهرية والتقية التي صلت نهضتها الأولى... فتتجاوز بذلك مرحلة تراجع

(١١) الأوسر الشكافة للإمام محمد عبده ج٣ ص ٣٤٩، ٣٥٠ دراسة المحلور

د. محمد عبده طبعه بيروت سنة ١٩٧٢م

الحضارى، وتنتج من المسخ والنسخ والتشويه الذى يريده لها الغرب الاستعماري.

ولذلك، حدد الأفغانى ومحمد عبده «المحتوى الفكرى» «الحركة الجامعة الإسلامية» عندما قال الأول:

«إن الدين هو قوام الأمم، وبه فلاحها، وبه سعادتها.. وهو السبب المفرد لسعادة الإنسان.. فهو يذهب بمعتقديه إلى جواد الكمال النورى والمنعوى، وبصعد بهم إلى ذروة الفضل الظاهرى والباطنى، ويرفع أعلام المدنية لطلابها، بل ينبض على التمسكين من ديم الكمال العقلى والنفسى ما يظفرهم بسعادة الدارين..»

أرسل فكرك إلى نشأة الأمة، التى خملت بعد نياها، واطلب سبب نهوضها الأول.. إنه دين قويم الأصول، محكم القواعد، شامل لأنواع الحكم، باعث على الآفة، داع إلى المحبة، مذك للنفوس، مطهر للقلوب من أدران الخسائس، متور للعقول بإشراق الحق من مظانق قضاياء، كافل لكل ما يحتاج إليه الإنسان من مباتى الاجتماعات البشرية، وحافظ وجودها، ويتأدى بمعتقديه إلى جميع فروع المدنية.

فإن كانت هذه شرعة تلك الأمة، ونها وردت، وغنها صدرت، فما نراه من عارض خللها، وهبوطها عن مكانتها، إنما يكون عن طرح تلك الأصول ونبذها ظهرياً.. فعلاجها الناجع إنما يكون برجوعها إلى قواعد دينها، والاختذ بأحكامه على ما كان فى يدايته..

ولا سبيل للناس والقنوط، فإن جراثيم - [أصول] - الدين متأصلة في النفوس. والقلوب مطمئنة إليه، وفي رواياها نور خفى من محبته، فلا يحتاج القسائم بإحياء الأمة إلا إلى نفخة واحدة يسرى نفسها في جميع الأرواح لأقرب وقت. . . فلماذا قاموا، وجعلوا أصول دينهم أختة نصب أعينهم، فلا يعجزهم أن يبلغوا في سيرهم منتهى الكمال الإنساني.

ومن طلب إصلاح أمة شأنها ما ذكرنا بوسيلة سوى هذه، فقد ركب بها شططا، وجعل النهاية بداية، وانعكست التربية، وانعكس فيها نظام الوجود، فانعكس عليه القصد، ولا يزيد الأمة إلا انحسا، ولا يكسبها إلا نعسا. .

ودونك تاريخ الأمة العربية. . وما كانت عليه قبل الإسلام من الهمجية. . حتى جاءها الدين فوحدها، وقواها، ونور عقلها، وقوم أخلاقها، وسدد أحكامها، فسادت على العالم. .^(١١)

هكذا أعلن الأفغانى «البيان الإسلامى» لليقظة الإسلامية الحديثة. . ثم واصل الإمام محمد عبده السير على هذا الطريق، بإحاج على تركية شعار «الإصلاح بالإسلام». . فقال - ناقدًا لتمدنية الغربية -

«إنها مدنية الملك والسلطان، مدنية الذهب والفضة»، مدنية التفتحة والبهرج. مدنية الختل والنفاق، وحاكمها الأعلى هو «الجنية» عند قوم، و«اللبثا» عند قوم آخرين، ولا دخل للإنجيل في شيء من ذلك!»

(١١) [الأعداد الكاملة لجمال الدين الأفغانى] ص ١٣١، ١٤١، ١٧٣، ١٩٧ - ١٩٩ دراسة وتحقيق: د. محمد عسار. طعة القاهرة سنة ١٩٦٨م.

ومزكياً للإسلام فكرته للبقطة الإسلامية والمشروع النهضوي الإسلامي، لأنه دين الوسطية الجامعة. . فقال:

«لقد ظهر الإسلام، لا روحياً مجرداً، ولا حداثياً جامداً، بل إنسانياً وسطاً بين ذلك، أخذاً من كلا الطرفين بنصيب، فتوافر له من ملاءمة الفطرة البشرية. ما لم يتوافر لغيره، ولذلك سمي نفسه دين الفطرة، وعرف له ذلك خصوصه اليوم، وغدوه المدرسة الأولى التي يرقى فيها البرابرة على سلم المدنية. .

لقد جاء الإسلام، كمالاً للشخص، وألفة في البيت. ونظاماً للملك، امتازت به الأمم التي دخلت فيه عن سواها من لم يدخل فيه».

ثم تحدث الإمام محمد عبده عن الإسلام تسليلاً مفرداً للتقدم والنهوض والإصلاح، فقال:

«إن أهل مصر قوم أذكياء. . يغلب عليهم لين الطباع، واشتداد القابلية للتأثر. لكنهم حفظوا القاعدة الطبيعية، وهي: أن البذرة لا تنبت في أرض إلا إذا كان مزاج البذرة مما يتغذى من عناصر الأرض، ويتنفس بهوائها، والأما نبتت البذرة، بدون عيب على طبقة الأرض وحوادثها. ولا على البذرة وصحتها، وإنما العيب على البادرا

انفس المصريين أشربت الانقياد إلى الدين حتى صام صمعا فيه. فكل من طلب إصلاحها من غير طريق الدين فقد يضر بلزاً غير صالح للشربة التي أودعه فيها. فلا ينبت، ويضيع تعب، ويحقق سعيه، وأكبر تدهور

على ذلك ما شوهد من أثر التربية التي يسمونها أدبية من عهد محمد علي [١٨٤٤ - ١٢٦٥ هـ - ١٨٧٧ - ١٨٤٩ م] إلى اليوم.. فإن المأخوذين بها لم يردادوا إلا فساداً - وإن قبل إن لهم شيئاً من المعلومات - هذا لم تكن معارفهم وأدبهم عليه على أصول دينهم فلا أثر لها في نفوسهم.

إن أسهل الدين لمريد الإصلاح في المسلمين ميسر لا مدوحة عنها، قول إيمانهم من طريق الأنبياء والحكمة العبرية عن صبغة الدين، يحوجه إلى إنشاء بناء جديد، ليس عنده من مواد شئ.. ولا يسهل عليه أن يجد من عماله أحداً.

وإذا كان الدين كذلكاً تهذيب الأخلاق، وإصلاح الاعمال، وحنن النفوس على طلب السعادة من أبوابها، ولأهلها من الشئ فيه ما ليس في غيره. وهو حاضر لديهم، والعباد في إرجاعهم إليه خلف من أحدث ما لا إلام لهم به. فلم التعديل عنه إلى غيره؟^(١)



هكذا تم التأسيس.. وحدث الاحتياز.. وأعلن الانحياز إلى حيز "الإصلاح بالإسلام" كمحتوى فكري لحركة الجامعة الإسلامية..

وتم - كذلك - ترتيب الأولويات بين ميادين الإصلاح.. إصلاح الأصول قبل الفروع.. رتبة بالتربية. وإصلاح مذهب التفكير وثقافة الاعتقاد من شأنه من الحرافات والبدع، والتركيز على التأسيس لشيء

(١) [لأعداد الكاتبة للإمام محمد عبد المجيد حري من ١٩٩٠ - ٢٠٠٠]

تصوغ العقل المسلم والوجدان الإسلامي... وتقدّم الأمة على الدولة،
وأصول التربية على فروع السياسة.

وبعبارة الشيخ محمد الشير الإبراهيمي [٦-١٣ - ١٣٨٥ هـ - ١٨٨٩ -
١٩٦٥ م]:

«فإن السياسة لباب وقشور، وإن سياسة التربية هي الأصل لتربية
السياسة - التي هي الفروع - والأصول مقدمة على الفروع... وللباب
السياسة، بمعناها العام، وعند جميع العقلاء، هو عبارة واحدة:

«إيجاد الأمة، ولا توجد الأمة إلا بتثبيت مقوماتها من: جنس، ولغة،
ودين، وتقاليد صحيحة، وعادات صالحة، وفضائل حنسية أصيلة.
فوجود تلك المقومات شرط لوجودها، وإذا انعدم الشرط انعدم المشروط،
ثم يقبض على الأمة من مجموع تلك الحالات إلهام لا يُغالب ولا يُرد بأن
تلك المقومات متى اجتمعت تلاقحت، ومعنى تلاقحت ولدت
«وطنًا»...»^(١)

فالآمال في الإصلاح والنهوض إنما تعلّق على الأمة، قبل الملوك
والأمراء...

وإعلانًا عن هذا المنهاج في الإصلاح... قال الإمام محمد عبده:

«لقد ارتفع صوتي بالدعوة إلى أمرين عظيمين:

(١) [آثار الإمام محمد الشير الإبراهيمي] ج٢ ص ١٩٥ - تقديم د. أحمد طالب
الإبراهيمي - طبعة بيروت سنة ١٩٧٧ م

الأول: تحرير الفكر من قيد التقليد، وفهم الدين على طريقة سلف الأمة قبل ظهور الخلاف، والرجوع في كسب معارفه إلى منابعها الأولى، واعتباره من ضمن موازين العقل البشري النقي وضعها الله لترد من شططه. لتو حكمة الله في حفظ نظام العالم الإنساني، وأنه على هذا الوجه يعد صديقاً للعلم، باعثاً على البحث في أسرار الكون، داعياً إلى احترام الحقائق الثابتة، مطلقاً بالنعويل عليها في أدب النفس وإصلاح العمل.

كل هذا أعده أمراً واحداً. وقد خالفت فيه رأى الفئتين اللتين يتركب منهما جسم الأمة: طلاب علوم الدين ومن على شاكلتهم، وطلاب فنون العصر ومن هو في ناحيتهم.

أما الأمر الثاني: فهو إصلاح أساليب اللغة العربية في التحرير. (١)



هكذا تم التأسيس لفكر حركة الجامعة الإسلامية، ونيار اليقظة الإسلامية الحديثة. . . الإصلاح بالإسلام وتقديم الأصول على الفروع - في أولويات الإصلاح - واللفية التجديدية، التي تعود - في الدين - إلى منابع أجوهر والنقية - لتجدد دينا المسلمين بهذا الدين المتجدد أبداً. . . والذي علما التجديد فيه سنة من سنن الله التي لا تبدل لها ولا تحويل، . . . وليس مجرد حق من حقوق الفكر والمفكرين! . . .

(١) الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده ج ٤ ص ٣/٨.

- وعلى امتداد ما يقرب من أربعين عاماً [١٣١٥ - ١٨٩٨ م / ١٣٥٤ - ١٩٣٥ م] كانت مدرسة [المنار] - التي قادها الشيخ محمد رشيد رضا - هي مرجع هذا التيار التجديدي الإحيائي، الذي وضع الأسس والمعلم للمشروع الحضاري الإسلامي، والذي كَوَّن "العقل" - "الضمير" - "النخبة" - كما عُثِلت في تنظيماته - وأبرزها تنظيم [جمعية العروة الوثقى] - التي كَوَّنَهَا ورأسها جمال الدين الأفغاني . . والتي كان محمد عبده نائب الرئيس فيها، وروافع مقرراتها . . ورئيس تحرير جريدتها، التي حملت اسمها . .



[٢]

تصاعد التحدي.. وعموم البلوى

في أوائل القرن العشرين حذر الإمام محمد عبده من العواقب المخيفة لصراع «العرب» مع «الآثار الك»^(١). لأن «هذان الشعبان هما قريتي شعوب الإسلام» ودول أوروبا واقعة لهما بأثر صادم. قدما وحتما فترتهما في الصراع. وثبتت دول أوروبا، فاستولوا على القريتين، أو على قسميهما. فتكون العاقبة إضعاف الإسلام وقطع الطريق على حياته.^(٢)

وبعد خمسة عشر عاماً من هذا التحذير - السريّة - وقع الحظوظ وبدأ عموم البلوى يخيم على سائر بلاد الإسلام.

* فالشريف حسين بن علي [١٢٧٢ - ١٣٥٠ هـ / ١٨٥٦ - ١٩٣١ م] أمير مكة - قرد على الدولة العثمانية [سنة ١٣٣٤ هـ / ١٩١٦ م] استجابة لعموم بلوى «الحبيبة» ومادفوعاً - في الأساس - بأغراض إنجليزية! - ففتح في جذر دولة الإسلام الكبرى الثغرة التي أفضت إلى تفكك الغرب لمعاهدة «سيكس - بيكو» السرية - التي عقدتها إنجلترا وفرنسا [سنة ١٣٢٤ هـ / ١٩١٦ م] لتقسيم ولايات الدولة العثمانية بين أقطاب التحالف الاستعماري الغربي. ولبعد «بلفور» [١٣٣٦ هـ / ١٩١٧ م] بإقامة الكيان الصهيوني - قاعدة استعمارية غربية - على أرض فلسطين..

(١) القصر السري، ج ١ ص ٧٣٥

وعقب ذلك. احتل الفرنسيون الشام، وقال قائدهم «جورو» [١٨٦٧هـ - ١٩٤٦م] أمام قبر صلاح الدين الأيوبي [٥٣٢ - ٥٨٩هـ - ١١٣٧ - ١١٩٣م] - بدمشق - : «هأنحن قد عدنا يا صلاح الدين!!!» واحتل الإنجليز فلسطين والعراق. وقال قائدهم «البنسي» [١٨٦١ - ١٩٣٦م] - عندما دخل القدس - : «اليوم انتهت الحروب الصليبية!!!».

* وفي ٢٢ رجب سنة ١٣٤٢هـ ٣ مارس سنة ١٩٢٤م أُنشئت الخلافة الإسلامية. . . ونقضى آخر خلفائها السلطان عبد المجيد الثاني (١٢٨٦ - ١٣٦٤هـ - ١٨٦٩ - ١٩٤٤م)، قزال «الرمز»، وتخطم «الوعاء» الذي حافظ - بشكل أو بآخر - على وحدة الأمة وتكامل دار الإسلام، والذي أُنشئت عليه الأمة واعتصمت به منذ ظهور الإسلام!.

والذين يعلمون عداء العرب الاستعماري - تاريخياً - لهذا «الرمز» وهذا «الوعاء» . . والأفراح التي أقامها الصليبيون والنصيرية لهذا الحدث، يستطيعون تقدير وضعه على الإسلاميين وعلى عموم المسلمين . . ويفهمون معنى الرثاء الذي أعلنه أمير الشعراء أحمد شوقي [١٣٨٥ - ١٣٥١هـ - ١٨٦٨ - ١٩٣٢م]. عندما قال:

صَجَّتْ عليك مآذن ومنابر	وبكت عليك ممالك. ومناج
الهند والهة، ومصر حزينة	تبكي عليك تذمّع سَحَاح
والشام تسال، والعراق، وفارس	أمحاسن الأرض الخلافة ما ح ١٩
يا للرجال، لحرة مروءة	قُتلت بغير جريرة وجُحاح

ترعوا من الأعناق خبير قلادة
وعلاقة فُصمت عرى أسبابها
نظمت صفوف الملمين وحظوهم
بكت الصلاة، وتلك فتنة عابت
فتسمعن بكل أرض داعياً
ولشهداء بكل أرض فتنة
بقي على ذهب المعز وسبقه
وهوى النفوس، وحثه المنحاح^(١)

وما هي إلا أشهر حتى تحققت «نبوة» أمير الشعراء، فعلت أصوات
دعاة الفتنة في طول البلاد الإسلامية وعرضها..

* ففي رمضان سنة ١٣٤٣هـ أبريل سنة ١٩٢٥م بشر الشيخ على
عبد الرازق [١٣٠٥ - ١٣٨٦هـ ١٨٨٧ - ١٩٦٦م] كتابه [الإسلام
وأصول الحكم].. فكان أول كتاب يكتبه مسلم - بل وشيخ أزهري.
يتولى منصب القضاء الشرعي - يزعم فيه أن الإسلام دين لا دولة.. وأن
الخلافة الإسلامية كانت دائماً وأبداً، وعلى امرئ رايحها سلطة قهر.. وأنها
لا علاقة لها بالإسلام!..

ولقد وقع هذا الكتاب على العقل المسلم وقع الصاعقة.. ودارت
حوله معركة لعلها أكبر معارك الشرق الفكرية في القرن العشرين!..

(١) أحمد شوقي [الشوقيات] المجلد الأول، ج ١ ص ١٠٥ - ١٠٩. طبعة دار الكتاب
العربي - بيروت - بدون تاريخ.

* وفي ذي القعدة سنة ١٣٤٣ هـ يونية سنة ١٩٢٥ م غزل الإنجليز الشريف حسين بن علي، وكتبه إلى جزيرة «قبرص»... فجسدوا بهذا القرار قدرهم «بالعرب والعروبة» بعد أن استعانتوا بها على العذر بالإسلام المسلمين! وهكذا صاع من يد المسلمين - إسلاميين ثابوا أو قوميين - كل شيء!

* وفي سنة ١٣٤٤ هـ سنة ١٩٢٦ م نشر الدكتور طه حسين [١٣ - ١٣٩٣ هـ ١٨٨٩ - ١٩٧٣ م] كتابه [في الشعر الجاهلي]، الذي استخدم فيه منهج «الثبت الديكوتي» لتشكيك في «الشعر الجاهلي». ثم تجاوز نفاق «الشعر الجاهلي» إلى حجت شكك في عقائد قرآنية من مثل قصة الخليل إبراهيم، ورحلته الجحارية، وإقامته - مع ابنه إسماعيل - عليهما الصلاة - قواعد البيت الحرام!

فكان هذا الكتاب - بعد كتاب [الإسلام وأصول الحكم] - ثاني عمل فكري - يكتبه شيخ الزهري - بدلل اقتحام «التغريب» لمقدسات المسلمين، واستفزاز «التوعية المادية» المحظورة العربية مشاعر المسلمين!

وهكذا حدث ما هو أخطر من احتلال الأرض، فهذه الشروقات حدث الاحتراق للعقل المسلم، وبدأ صوت «التغريب» - على آتية تم من أبناء الأمة - يشمر بأن اخلاص لن ينحرف إلا عبر نبي المشرق الحقباني الغربي، بخيرة وشره، بخلود وسمه، بما يحب فيه وما يكره، بما يحمد فيه وما يعاب، وذلك ندعوى أننا جزء من طبيعة هذا المشرق الغربي، لأننا جميعاً أبناء حضارة البحر المتوسط!... وعشنا يوناني -

بغير القرآن من يونانيته، كما لم يغير الإنجيل يونانية العقل العربي، إذ القرآن - في ذمهم - مجرد مصدق للإنجيل^(١٢١).. والإسلام - كالنصرانية - ليس إلا رسالة روحية، لا سياسة فيها ولا حكم ولا دولة، بل - يا بعدنا بين السياسة والإسلام، وما كان محمد إلا صاحب سلطان روحي على القلوب، كخالفين من الرمن - لم يقم دولة، ولم يرأس حكومة، ولم يبلور جماعة سياسية.. فرسانه، كسافقاتها، تدع ما لقيصر نفيسر وثقف - فقط - عند ما لله^(١٢٢).. وللمؤمنين أن يفتوا ما شاء لهم الإيمان منصوص القرآن، لكن الباحثين لأنهم من الشك فيه!..^(١٢٣).. وليست العربية هي لغة النهضة والتقدم، لأنها لغة القرآن والأخلاقيات العربية، فلا تصالح لعصر الديمقراطية والبرلمانات!.. ومعيار النصح الفكري هي الإحصاء بالغرب، والتقليد له، والكفران بالشرق^(١٢٤).. ولهذا، فلماذا لنا «أن تسير مسيرة أوروبا في الحكم والإدارة والتشريع»^(١٢٥).

نعم.. حدث هذا الزلزال.. وهذا الاختراق لتأريخنا والمؤسسات والمفردات..

(١٢١) طه حيدر استغل القصة في كتابه من ٥٥ صفحة العدد ١٩٣٨.

(١٢٢) من عبد الرحمن الإسلام، أصول حكمنا من ٥٨ - ٨٠، العدد الأخير سنة ١٩٢٥م.

(١٢٣) طه حيدر في الشعر الحضري من ٨ - ١١، طعة العدد سنة ١٩٢٦م.

(١٢٤) سلامة موسى السلافة العربية، لغة العرب (الطبعة الثانية) سنة ١٩٢٥، بيروت.

والعدد من ٦، طعة العدد سنة ١٩٢٦م.

(١٢٥) استغل العدد في بغداد من ٣٦ - ٣٧.

وإذا كانت الزلازل السياسية والاستعمارية لها نظائر في تاريخ الإسلام والمسلمين . . فإن هذا الاختراق الفكري غير مسبوق في تاريخ حضارة الإسلام! . . الأمر الذي اهتم له ضمير الأمة كما لم يهتم في متعطف من متعطفات التحديات التاريخية التي واجهتها . . فكانت الاستجابة الإيجابية أمام هذا التحدي غير المسبوق، تعبيراً عن نفاسة المعدن . . وتحفيظاً للنسنة الإلهية : ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ [الحجر : ٩] . . سنة حفظ الإسلام بالمسلمين . . وتحديد دنيا المسلمين بتحديد دين الإسلام! . .

[٤]

الجامعة الإسلامية في طور جديد

نعم.. حدثت هذه الأحداث الجسام، التي هزّت كيان الأمة، وزلزلت وجدان المسلمين، فاستنفرتهم للمقاومة.. فلقد كان الإسلام، على مر تاريخ الأمة، هو حصنها المنيح عندما تنهدد المملكات والتحكّيات وجودها وهويّتها.. وكانت صيحة «والإسلاماء!» هي كلمة السر التي تتنادى بها الأمة، وتتداعى إليها عقولها وقلوبها.. خاصتها وحماهيرها. كان هذا هو قانون «التحدى» و«التصدي» على مر تاريخ الإسلام والمسلمين.. ولقد عاهد ليعمل عندما عمت البلوى أثناء الحرب الاستعمارية العالمية الأولى [١٣٣٢-١٣٣٦هـ - ١٩١٤-١٩١٨م].. وفي أعقابها..

« ففى سنة ١٣٥٦هـ سنة ١٩٣٧م -بعد فشل المؤتمرات الحكومية وشبه الحكومية التي عقدت لإنقاذ الخلافة -اجتمع صفوة علماء الإسلام ومفكرية- بالقاهرة -وأسسوا جمعية «الشبان المسلمين».

« وإذا كان أمير الشعراء أحمد شوقي قد تحدث في رثائه للخلافة عن بكاء ممالك الإسلام ونواحى دياره على إسقاطها:

وبكت عليك ممالك ونواح

فلقد كان حسن البنا -مع ثلاثة من رفاقه- سيكون بكاء حقيقيا، على الخلافة الإسلامية.. وعلى الحال الذي وصلت إليه الأمة.. مع معاناة

التفكير - ليل بهار - فيما يجب عمله لإتقان الأمة من هذا الشجر الحضر الخضر الذي سقطت فيه . .

وعن هذه الحكمة السلفية التي عاشها الفتي « ابن العشرين » عماما المتخرج من كلية دار العلوم حدثنا فقال :

« . . وليس يعلم إلا الله كم من أقبالي كنا نخفيها مستعصرين حال الأمة ، وما وصلت إليه في مختلف مظاهر حياتها ، وتحلل عسل والأدواء ، وتفكر في العلاج وحسب الداء ، ونفقد ما التأم لما وصلنا إليه إلى حد البكاء . . . وكم كنا نحب إذ نرى أنفسنا في عثر هذه المشعة السلفية العظيمة ، وإخيلون هاجعون بشكوك بين الماضي ويزدادون على أندية الضياء والاشراق . . »

ثم يسمي للإشارة إلى « الفكر التاريخي » الذي اتخذته - هم - رافدة - في « اللحظة التاريخية » فتقول :

« لقد ألهمت هذه الحوادث بحسبي ، وأماحت قوامس الشجر في قلبي ، ولغنت نظيري إلى وجوب الجهد والعمل ، وسلوك طريق التكوين بعد التنبيه ، والتأسيس بعد التدريس . . » (١١)

« هكذا كانت سنة ١٣٤٧ هـ سنة ١٩٢٨ م في سنة اللحظة التاريخية التي تمتعت - نظري - بالوعي ، لا بغير سبع حسي شاء بحر

(١١) « مجردة من كل الامام الشهيد حسن البنا » سنة النشر احسن - مصر - ١٩٥٠ . ١٥ .

سابق نسطور المشروع الإسلامي للنهضة الحضارية، وتجديد دينا المسلمين
تجديد دين الإسلام. - - - - - (اللمحة التاريخية) التي أدرك فيها هذا الرجل
أنهم والمشارك أن نصاعد التحديات. - - - - - وثغرات الاختراق. - - - - - وعمود
المبنى، إنما تتطلب الانتقال بالقضية من إطار الضلوة والنخبة التي كانت
عنده منذ [العروة الوثقى] وحتى [السبيل للمسلمين] - إلى الدائرة التي
تشترك فيها [الأمة] مع [الحجة]، وإلى المستوى الذي سبهم فيه [أجماهير]
مع [الصلوة] في مواجهة التحديات.

فالتعريف الاستعماري والتفكري لم يعد «على الأتمتة» - كما قال أحوال
في عصر الأفعلى وإنما أصبح في داخل المعركة الإسلامية والنخلة
المروثة لم يعد بالمثل الذي كان عليه في عصر الأفعلى ومحمد عبده.
وإنما أصبح الشغل لخطر التعريب - فتغيرات - (أ) - موازين التجهيزات
الأمم التي فرض إعادة الترتيب للأقاليم.

لقد كان نصف القرن الذي مضى من عمر الجامعة الإسلامية، تأسيساً
لمشروع النهضة الإسلامية. وتكويناً «للعلل» القائل بهذا المشروع. وإمام
صاعد لتجديدات. والاختراق من الداخل. فكان لأحد من علماء
«جسم» هذا «العلل» (1)، فكان الأجزاء التدريجي حتى النهاية، في مساهمة
الأحياء الإسلاميين، الاستقلال «بأسس المشروع الحضاري» (2) «مناهج التجديد»
تسلي الأمانة ودينامية إلى «معالم أشد» هواجس، وأكثر تفصيلاً، وأقرب إلى
التجديد على الواقع الذي استجد، والتغيرات التي حدثت في مؤامير

التحديات، حتى يشرب هذا المشروع و«معالجه» من «البرنامج» المقدم إلى «الجماهير».

وأيضاً، الانتقال «بالتنظيم» الحامل للرسالة من إطار «الصفوة» -صموة- أولى الأمر -كما كان الحال في [جمعية العروة الوثقى] إلى إطار الجماهير، كما تجسد في [جماعة الإخوان المسلمين].

تلك هي «اللحظة التاريخية» لحسن البنا... وذلك هو «التطور النوعي»، و«الإضافة الكيفية» لإنجازها، في السياق التاريخي حركة الإحياء الإسلامي الحديث. وتلك هي «بصمته» المتميزة في ظاهرة الصحو الإسلامية المعاصرة..

[٥]

من معالم التجديد في مشروعة الحضارى

وإذا كان المقام لا يتسع لحديث مفصل عن معالم المشروع التجديدي
لتنهضة الحضارية الإسلامية، كما صاغه الإمام الشهيد الشيخ حسن البنا
لحركة الصحوة الإسلامية المعاصرة، ممثلة في [جماعة الإخوان
المسلمين]، فإننا نقف عند إشارات، إلى عناوين أمهات المسائل في هذا
المشروع. . وعلى سبيل المثال:

١- التمييز عن المؤسسات الدينية التقليدية:

فلم يكن الإسلام عند [الإخوان المسلمين] - كحركة إحياء إسلامي -
كما هو عند «المؤسسات الدينية التقليدية» تلك التي كانت لا تزال - في
جملتها - واقفة عند «التون» و«الحواشي» و«التعليقات» و«الاعتراضات»
التي أفرزها عصر التراجع الحضارى - المملوكى، العثمانى - والتي أقامت
شبه قطيعة معرفية مع عصر الازدهار والإبداع في تاريخنا الحضارى. .
واتخذت موقفا غير ودى من إبداعات العصر الحديث في التجديد
والإحياء. .

لم يكن الإسلام، عند [الإخوان المسلمين]، هو ذلك الذى وقفت
عنده المؤسسات التقليدية فى التعليم الدينى. . وإنما تقدم «الإخوان»

خطوات. فتجاوزوا فهم هذه المؤسسات للإسلام. . . ومن هم كانوا حتى
فصيلا من فصائل نازي النجدة.

« ولم يكن الإسلام - عند حسن البنا - وإخوانه المسلمين - وقروا
عند العقل وحده - فهي دين . . . معتق - بلما العقل بسبب الإدارة. ككل
ملكات الإنسان.

ولا وقروا عند العقل - وحده - قبله سبحانه وإلهي - مع العقل
هدايات أخرى وهيها وسخرها للإنسان

ولا وقروا عند التجارب والخبر من وحده . . . ولا كان الناس أخيرا لا
قلوب لهم" ١ . . يعتبرون ظاهرا من حياة الدنيا. لا يحكمونهم حكمة.

ولا وقروا عند القلب والوجدان وحده. . . ولا كانت المعرفة (المعرفة) لا
لا عقل لديهم بوسط خطوات القلوب.

وأما كان الإسلام الإيماني - عند حسن البنا - هو ذلك الدين الشاس . .
الذي يرجع - في مصادر المعرفة - إلى كتابي الوحي والكرن - كتاب الله
المستور . . وكتابه المنظور . . ولذلك عمن حسن البنا أن جماعته هي الدعوة
من الدعوات التجديدية لحياة الأمم والشعوب ٢

. . وأنها - لذلك - جامعة لأصول التجديد . . والمعرفة . . والمستحبة
ملكات الإنسان . . ومليئة لشرايح الأمة ومكوناتها . . وأيضا مرسومة
لمستوى الجماهير . . فهي:

(١) المصدر السابق، رسالة وقروا في صر جديد - ص ١٢٢

«دعوة سلفية.. وطريقة سنية.. وحقيقة صوفية.. وهيلة سياسية..
وحداثة رياضية.. ورابطة علمية ثقافية.. وشركة اقتصادية.. وفكرة
اجتماعية»^(١١)



٢- الجمع بين «النظر العقلي» و«النظر الشرعي»:

وفي مواجهة الاستقطاب الحادة بين الغلاة:

«الغلاة الذين تحتدقوا آدم طواجر الصوامع..»

«والغلاة الذين اليوا براهين العفول، ونفاها من التسمية» إلى
«الإطلاق».. وقت الأثناء لنا -التجديد الإسلامي- عند وسطية
الإسلام.. فنتفع باستحالة خلاف «الضد» و«التناقض» بين «النظر العقلي»
و«النظر الشرعي» في الأمور «القطعية».. وراى أن بعض المحالات
المعرفية مختص بواحد من سل النظر دون الآخر.. كالإنهيات.. مثلا:

«أفادت الله، تبارك وتعالى، أكبر من أن تحيط بها العقول البشرية، أو
تدركها الأفكار الإنسانية، لأنها مهما بلغت من العلوم والإدراك محدودة
القوة، فمحصورة القدرة.. فالعقل البشرى قاصر عن إدراك حقائق
الأمياء»^(١٢) هي مثل هذه المبادئ.. ولذلك فإن «الإسلام قد أرسد
العقول إلى التزام حدها، وعرفها قلة علمها، وهدتها إلى الامتداد من

(١١) انظر كتاب «مكة المرمية» ص ١٥٢، ١٥٣.

(١٢) انظر كتاب «سورة» رسالة أمثلة ص ٣٩٢.

معارفها، فقال تعالى: ﴿وَمَا أَوْتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥]
وقال تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١٤٤].

وإذا كانت «طبيعة البحث» هي التي تحدد أداة النظر فيه، وهل الأولى أن تكون «العقل» أو «الشرع»، فإن اختلافهما إنما يكون في «الظاهر» وفيما هو «ظني»، لم يبلغ فيه أحدهما مرتبة «اليقين»... «فقد يتناول كل من النظر الشرعي والنظر العقلي مالا يدخل في دائرة الآخر، ولكنهما لن يختلفا في القطعي، فلن تصطدم حقيقة علمية بقاعدة شرعية ثابتة، ويؤول الظني منهما ليتفق مع القطعي، فإن كانا ظنيين فالنظر الشرعي أولى بالاتباع حتى يثبت بالعقل أو ينهار...»^(١).

وإذا كان الإسلام قد رفض «غرور العقل» و«انفرادة بالنظر» في كل الميادين، ودعا إلى التوازن بين نظره وبين النظر الشرعي... فإنه «لم يحجر على الأفكار ولم يحبس العقول»^(٢)... بل جاء يحسّر العقل، ويحث على النظر في الكون، ويرفع قدر العلم والعلماء، ويرحب بالصالح النافع من كل شيء، «والحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق الناس بها»^(٣) - رواه الترمذي وابن ماجه - ...

وهذا الموقف الإسلامي الوسط، إزاء «العقل والعقلانية» تابع من التمييز بين مجالات البحث وطائعات الأشياء موضوع النظر... فمن هذه

(١) المصدر السابق. رسالة التعاليم. ص ٢٧١.

(٢) المصدر السابق. رسالة العقائد. ص ٢٩٤.

(٣) المصدر السابق. رسالة التعاليم. ص ٢٧٠.

المجالات ما تكون السيادة الأولى فيه للنظر العقلى، ومنها ما تكون السيادة الأولى فيه للنظر الشرعى - وهناك سيادين تكون السيادة فيها للحواس والتجربة. . . وأخرى تكون السيادة الأولى فيها للقلب والوجدان. وهذا الموقف الإسلامى المتميز، هو الذى يرفض الخرافة، المنكرة للعقل. . . كما يرفض المادية، المنكرة لعالم الغيب، ولما يعلو على الفهم - وإن لم يناقض العقل. . . فيرفض - هذا الموقف الإسلامى «الإيمان الأسطورى»، كما يرفض «العقلانية اليونانية - الأوربية»، التى أنكرت الوحى، ووقفت عند النظر العقلى المجرد وحده، وعالم الشهادة دون سواه. . . وإذا كان تاريخ «العقل البشرى» يشهد على تذبذبه بين:

١- طور خرافة والباطنة والتسليم المطلق للغيب. . .

٢- وطور الجمود والمادية والتكبر لهذا الغيب المجهول. . .

وكلا هذين اللونين من ألوان التفكير خطأ صريح، وغلو فاحش، وجهالة من الإنسان بما يحيط بالإنسان، فلقد جاء الإسلام الخفيف بفصل القضية فصلاً حقاً. . . فجمع بين الإيمان بالغيب والانتفاع بالعقل. . . إن المجتمع الإنسانى لن يصلحه إلا اعتقاد روحى يبعث فى النفوس مراقبة الله. . . فى الوقت الذى يجب على الناس فيه أن يظنوا لعقولهم العنان لتعلم وتعرف وتخترع وتكتشف وتسخر هذه المادة الصماء، وتتنع بما فى الوجود من حيرات وميزات. . . فالى هذا اللون من التفكير، الذى يجمع بين العقلين: الغيبية والعلمية، ندعو الناس^(١).

(١) المصدر السابق. رسالة دعوتنا فى طور جديد، ص ١١٠ - ١١٦.

هكذا قال الأستاذ البنا، فاصلاً ومفصلاً القول في هذا المنهج الإسلامي الوسطي، الواقعي لكل الزمان العلي في هذا الميدان .



٢- مرونة الشريعة.. والافتتاح على الحكمة الإنسانية

وحتى يكون الباب مفتوحاً حقاً أمام التحديث جاء الإسلام في التعديلات... والاجتماعيات... والسياسات... والكليات... فوفقت شريعته... التي هي وضع الحق لا بد عند فلسفة التشريع.

ولم تات تفاصيل الشريعات -وركزت على "القواعد" و"التفريعات" و"الكليات". تاركة الباب مفتوحاً أمام "الاجتهاد" المحكوم بهذه الكليات والقواعد والفلسفات والنظريات... ومفتوح... كذلك - أمام التحديث الذي يضع هذه الاجتهادات في الممارسة والتطبيق... فكان هذا المنهج الإسلامي الذي يواكب كل المستجدات بالحلول الجديدة، والذي تقى فيه هذه الحلول الجديدة الإسلامية دائماً وأبداً، لأنها مبرورة وأوراق للجدول والاصول والكليات الثابت التي لا تغيير فيها ولا تبديل.

وعن هذا الموقف الإسلامي من الكليات الثابت... واخرات المتجددة، كتب الأستاذ البنا فقال: اعتمد الإحزاب المسلمون في الإسلام، كدين عام، النظم كل شؤون الحياة، في كل الشعوب والأقاليم، لكن الأعصار والازمان جاء أكمل وأسمى من أن يعرض لجوانب هذه الحياة،

وخصوصاً في الأمور الدينية البحتة، فهو إنما يضع القواعد الكلية في كل شأن من هذه الشؤون، ويرشد الناس إلى الطريق العملية لتطبيق عليها والسير في حدودها^(١). لقد جاء الإسلام بالنس فكمرة سائفة تحدد الأهداف العليا وتضع القواعد الأساسية وتتناول مسائل الكلية، ولا تتوغل في الجزئيات، وتدع بعد ذلك للحوادث الاجتماعية والتصورات الخيرية أن تفعل فعلها وتضع لها حصصاً ولا تصطدم بشيء منها، ولقد فارق الفقهاء في النظرة التشريعية بين ما هو من قواعد أحكام العبادات، وشئون الحياة الاجتماعية، فأنسح للنظر والاجتهاد في الثانية ما ليس في الأولى، حتى لا يكون على الناس حرج ولا مشقة « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » (البقرة: ١٨٥) ولقد حدث للناس قضية بقدر ما أخذوا من الفجور فليست في الشريعة تعبدية تعزل المروءة والسلامة والسعة كشرعية الإسلام^(٢) ولذلك كان الإسلام هو شريعة كل زمان ومكان^(٣).

وهذا الجديد الذي تفتح له الشريعة صدرها وتفتح أمامه الطريق كما يكون إبداعاً ذاتياً للأمة الإسلامية والعقل المسلم، يكون - بصفا - حكمة - أي صواباً عقلياً - يدققها العقل المسلم أين وجدها، ويصدف النظر عن ما حزن خطافية التي بدعتها.

(١) محمد السبزو، رسالة في شرح حديث، ص ١٥٥.

(٢) محمد السبزو، رسالة مشكلات في فروع الفقه الإسلامي، ص ٢٩٩.

(٣) محمد السبزو، رسالة جامعة في فروع حديث، ص ١٢٢.

وعن هذه الحقيقة من حقائق الانفتاح الإسلامي على الآخرين، والتفاعل مع إبداعاتهم، يقول الأستاذ البنا:

«إن طبيعة الإسلام، التي تساير العصور والأمم، وتتسع لكل الأغراض والمطالب... لا تأتي أبدا الاستفادة من كل نظام صالح لا يتعارض مع قواعده الكلية وأصوله العامة^(١)... إنه يدعو إلى أن نأخذ من كل شيء أحسنه، وينادي بأن الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق الناس بها، ولا يمنع أن تنسب الأمة الخير من أي مكان، فليس هناك ما يمنع من أن ننقل كل ما هو نافع ومفيد عن غيرنا، ونطبقه وفق قواعد ديننا ونظام حياتنا وحاجات شعبنا»^(٢).

٤- إسلامية النظام النيابي الدستوري،

ولقد طبق الأستاذ البنا هذا المنهاج -منهاج انفتاح الإسلام- وخاصة في الشؤون النيابية- على مختلف الثقافات وحضارات -طبق هذا المنهاج على الموقف الإسلامي من النظام النيابي والدستوري الذي تبلور في تجارب الديمقراطيات الغربية... فقال:

«إنه ليس في قواعد هذا النظام النيابي -الذي نقتناه عن أوروبا- ما يتنافى مع القواعد التي وضعها الإسلام لنظام الحكم، وهو بهذا الاعتبار ليس بعيدا عن النظام الإسلامي ولا غريبا عنه»^(٣)... وإن المباحث حين

(١) المصدر السابق، رسالة المؤتمر الخامس، ص ١٥٥.

(٢) المصدر السابق، رسالة دعوتنا في طور جديد، ص ١٢١، ١٢٢.

(٣) المصدر السابق، رسالة نحو النور، ص ٦٨.

ينظر إلى مبادئ الحكم الدستورى -[التي قام عليها الدستور المصرى الموضوع سنة ١٣٤١هـ سنة ١٩٢٣م]- التي تملخص في:

﴿ المحافظة على الحرية الشخصية بكل أنواعها.

﴿ وعلى الشورى واستمداد السلطة من الأمة.

﴿ وعلى مسئولية الحكام أمام الشعب، ومحاسبتهم على ما يعملون من أعمال.

﴿ وبيان حدود كل سلطة من السلطات.

هذه الأصول كلها يتجلى للباحث أنها تنطبق كل الانطباق على تعاليم الإسلام ونظمه وقواعده في شكل الحكم، ولهذا يعتقد الإخوان المسلمون أن نظام الحكم الدستورى هو أقرب نظم الحكم القائمة في العالم كله إلى الإسلام، وهم لا يعدلون به نظاما آخر... فنحن نسلم بالمبادئ الأساسية للحكم الدستورى باعتبارها متفقة، بل مستمدة من نظام الإسلام...»^(١).

فالمبادئ والفلسفات والمقاصد التي جاء بها الإسلام في سياسة الأمة والدولة يمكن أن نحققها «النظم المدنية» و«التجارب الإنسانية» التي هي إبداع إنسانى -إسلامى أو غير إسلامى- والمعيار، في القبول والرفض، هو مدى تحقيق هذه «النظم» لمقاصد الإسلام في إشراك الأمة في سطة صنع القرارات... وفي تحقيق العدل بين الناس..

(١) المصدر السابق، رسالة المؤتمر الخامس، ص ١٧٢، ١٧٣.

5- رفض التغريب.. ونقد الحضارة المادية الغربية:

وفي مواجهة «التغريب»... الذي اخترق عقل الأمة، وغدا لها أخطار من بين أخطارها... بقى مشروع الأستاذ البنا يقول:

«إن الحضارة الغربية، بمبادئها المادية، قد انتشرت في هذا الصراع الاجتماعي على حضارة الإسلام، بمبادئها النبوية الجامعة للروح والمادة معا في أرض الإسلام نفسه، وفي حرب ضروس عيالاتها قوم المسلمين وأرواحهم وعقائدهم وعقولهم، كما انتشرت في الميدان السياسي والعسكري».

وكما كان لذلك العدوان العسكري أثره في تسيه مشاعر القومية، كان لهذا الطغيان الاجتماعي أثره كذلك في انتعاش الفكرة الإسلامية^(١)، وإلى مدينة الغرب، التي رعت بحضانتها العلمي حينما سن الدهر، وأحصت العالم كله بنتائج هذه العنم لدولة وأمة، تفلس الآن وتنحرف... فهذه أصولها السياسية تقوضها المذكرات والزيارات، وأصولها الاقتصادية تمسحها الأزمات، وأصولها الاجتماعية تمضي عليها المادي السادة والخورات المتدعة في كل مكان، وقد حار الناس في علاج شأنها، وصاروا السبيل إلى

ونحن نرى أن الفكر تكبرا استقلاليا، يعتمد على أساس الإسلام الحنيف، لا على أساس الفكرة التقليدية التي جعلتنا نتقيد بنظريات العرب والمجاهدة في كل شيء، نريد أن نتميز بمفوماتنا ومشتخصات حضارتنا كرامة

(١) اقتصاد البشر - مجلة عالم الجديد - ص ١٥١، ١٥٢

عظيمة محببة، تَجَرُّ وراءها أقدم وأفضل ما عرف التاريخ من دلائل وعظام الفخار والمجد... (١١).



ولقد كان رفض «التغريب» - في مشروع الأستاذ البنا - رفضاً للتقليد... والتبعية... ولم يكن رفضاً «للتفاعل» - الصحي - من الحضارات... ولا دعوة «للعزلة»... والانغلاق... ولا اكتفاء «لذاتي»... فهو الذي يقول عن حضارتنا الإسلامية وأمتنا الإسلامية:

«لقد اتصلت بغيرها من الأمم، وتعلمت كثيراً من الحضارات، ولكنها تغلبت بقوة إيمانها ومتانة نظامها عليها جميعاً، فعرستها أو كذبت، واستطاعت أن تصبغها، وأن تحلبها على لغتها ودينها بما فيها من روعة وحيوية وحسان، ولم يمنعها أن تأخذ النافع من هذه حضارات جميعها، من غير أن يؤثر ذلك في وحدتها الاجتماعية أو السياسية» (١٢).

وهكذا كان الموقف التجديدي - إزاء الحضارات الأخرى - ومطابق لرفض «الانغلاق»... والعزلة» ويرفض «التبعية»... والتقليد»... ويشهد الموقف «تقدمي» الذي يعبر عما بين «المشترك الإنساني العام» وما بين «الخصوصيات العرقية والفلسفية والثقافية»... فهذه «التفاعل» الذي يفتح على الدنيا من موقع الراشد المستقل الذي لا يفتنه جهته ولا يفرط في روجه الحضارية المتميزة عن الآخرين.



(١١) المصدر السابق، رسالة دعوتنا في طريق جديده، ص ١٢.

(١٢) المصدر السابق، رسالة من الأمن والسلام، ص ١٣.

٦- التمييز بين المقدس المعصوم.. وبين التراث الفكرى،

وفى مواجهة «التخلف الموروث».. ونسار «التقليد لهذا التخلف» و«الجمود على موروثه»، دعا الأستاذ البنا إلى «التجديد»، وحدد فى صراحة ووضوح أن دعوته هى واحدة من «الدعوات التجديدية لحياة الأمم والشعوب»..^(١)

وطالب، فى النظرة النقدية للتراث والتاريخ، بالتمييز بين «الدين الثابت» وبين «الفكر المتغير» و«الممارسات البشرية».. وهو ما يعنى التطبيق المنهاج التجديد الإسلامى فى العودة إلى منابع الجوهريّة والنقية المعصومة «الكتاب وسبح الله - أى البلاغ القرآنى والبيان النبوى لهذا البلاغ القرآنى.. فهو «المقدس - الملزم»، بينما الفكر الإسلامى، والتراث الحضارى، وتحارب التاريخ، هى كنوز بحبيها ونحتصنها، ونستلهم منها، لكن دون تقديس ولا تعصب ولا إلزام.. فالتجديد: هو عودة للمنع، مع الدراسة للمواقع المعيش، والبحث عن إجابات لعلامات استفهام هذا الواقع المعيش والمتجدد فى هذه المنابع، مستفيدين الاستفادة الواعية والمرنة من هذا التراث الفكرى والحضارى والتاريخى.. وعن هذا المنهاج التجديدى يقول الأستاذ البنا: «إن أساس التعاليم الإسلامية ومعينها هو كتاب الله، تبارك وتعالى، وسنة رسوله، ﷺ.. وإن كثيرا من الآراء والعلوم التى اتصلت بالإسلام وتلونت ببلوته تحمل لونا العصور التى أوجدتها والشعوب التى عاصرتها، ولهذا يجب أن تستقى النظم الإسلامية، التى تحمل عليها الأمة من هذا المعين الصافى، معبر السهولة

(١) المصدر السابق، رسالة دعوتنا فى طور جديد، ص ١٢٢.

الأولى، وأن نعمهم الإسلام كما كان يفهمه الصحابة والتابعون من السلف الصالح، رضوان الله عليهم، وأن نقف عند هذه الحدود الربانية النبوية حتى لا نقيد أنفسنا بغير ما يقيدنا به الله، ولا لئلا نحصرنا لولا عجز لا يتفق معه، والإسلام دين البشرية جمعاء. (٢١)

في هذا التجديد - والتجديد بتحرر العصور من أسر العصور السابقة. وتحرر لعقل المعاصر من قيود العصور الماضية. - بل وتحرر النصوص المؤسسة للدين. القرآن والسنة - من حجاب النصوص البشرية والاجتهادات التي أثمرتها ملاسبات خاصة، فتعود للقاعدة الأولى لهذه النصوص المعصومة والمقدسة. وبذلك التحرر يجد الواقع المعاصر والمعبر الإجابات عن علامات استفهام لدى العقل الذي يعيش هذا الواقع ويفقهه، في ضوء كليات الكتاب والسنة وانطلاق منها، فتأتي الإجابات معاصرة حقاً. . وسليمة أيضاً.

ونحن عندما نتأمل هذا المنهاج في التجديد الإسلامى. عند الأستاذ البنا، ونتأمل العبارات التي أوردناها له هنا، نتذكر - على الفور - صياغة الأستاذ الإمام الشيع محمد عبده لذات المنهاج، عندما قال: إنه قد دعا إلى «تحرير الفكر من قيد التقليد، وفهم الدين على طريقة سلف الأمة، قبل ظهور الخلاف، والرجوع في كسب معارفه إلى منابعها الأولى...» (٢٢).

(١) المصدر السابق رسالة المؤتمر الخامس، ص ١٥٤، ١٥٥.

(٢) [الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده] ج ٢، ص ٣١٨.

وبهذا المنهاج تحول السلفية إلى تحرير وتجديد، لا إلى جمود وتقليد، كما فهمها آخرون!



وهنا - أيضاً - يتبين التحديد الإسلامي عن «الحدادة» - بمعناها العربي - فضلاً عن تميزه عن الجمود والتقليد.

فالجمود والتقليد قد حوّل التراث إلى مرجعية كانت لا تحجب منابع الجوهرية والنفسية للإسلام، حتى أهدت حججاً بين انقسام وبين البلاغ القرآني والبيان النبوي لهذا البلاغ القرآني... وكانت المذاهب والمذاهب لا تحجب مقلديها عن منهج النبوة.

ثم جاءت «الحدادة» - بمعناها العربي - لتقيم قطيعة معرفية قسوى مع الموروث والتراث، والموروث الديني على وجه الخصوص، فأحدثت فراقاً كاملاً، فلا «التراث» ثبت، ولا هي رجعت إلى «المنابع الأولى».

لكن التحديد الإسلامي - عند الأستاذ البنا - وعند كل الأمة التجديد في حضارتنا - قد كان دعوة للعودة إلى منابع الجوهريّة، النفسيّة، المقدسة... والمعصومة... والثابتة... والملزّمة للمسلمين - وبعبارة الأستاذ البنا: «المعين الصافي» - معين السهولة الأولى - مع الاستعانة من كثير التراث الفكري، بعد عرصة على معايير القرآن وصحيح السنة... ومع فتح الواقع المعيش، حتى تحجب عن علامات استعصامه هؤلاء بالنسبة الآخرين لا بفناوي الأموات!

٧- النقد لتاريخ الدولة.. ولتناهج الفكر في التاريخ الإسلامى

وانطلاقاً من هذه التوعية الشديدة -التي هي ثروة على الجمود والتقليد- وقف الإمام البنا هذا الموقف النقدي، وهو يقم تاريخ الدول الإسلامية في تاريخنا الحضارى.. فكان حديثه عن العوامل السبعة التي أدت إلى تحلل كيانها، ومن ثم حدوث الفوضى الذي أخذ يتصاعد فيه النموذج العربى للدولة القومية الحديثة.

افاهم عوامل التحلل في كيان الدولة الإسلامية تاريخياً- هي:

أ- الخلافات السياسية والعصية وتنازع الرياسة والجاه

ب- وإخلافات الدينية والمذهبية..

ج- والانحساس في ألوان الشرف والنعيم..

د- وانتقال السلطة والرياسة إلى غير العرب، من الفرس تارة والديلم تارة أخرى والمماليك والأتراك وغيرهم ممن لم يتأدقوا ضيم الإسلام الصحيح، ولم تشرق قلوبهم بأنوار القرآن، لتعزبة إدراكهم لنعائه.

هـ- وإهمال العلوم العقلية والمعارف الكونية، وصرف الأوقات وتضييع الجهود في فلسفات نظرية عتيقة وعلوم خيالية سفلية..

و- وغرور الحكام بسفاهتهم، والانخداع بفنونهم، وإهمال النظر في التطور الاجتماعى للأمم من غيرهم، حتى سبقتهم في الاستعداد والأهبة وأحذلتهم على قرد..

٧- والانخداع بدساتس المتنمقين من خصومهم والإعجاب بأعمالهم ومظاهر حياتهم، والاندفاع في تقليدهم فيما يضر ولا ينفع. (١١)

حتى يستطيع أن يقول إن الأستاذ البنا قد أوجز في هذه العوالم السبعة، ليس فقط النقد العبقري لنظم الدول الإسلامية في تاريخ الحضاري، وإنما - أيضاً - النقد لمناهج التفكير لدى كثير من مدارس الفلسفة في تراثها الفكري!.. تلك التي شغلت العقل باحدث فيما وراء الطبيعة وغواهم الغيب عن مهمته الأصلية والأولى وهي الإبداع في عالم الشهادة، لتسخير سائر هذا العالم في التقدم والنهوض..

وبهذا النقد العبقري قدم الأستاذ البنا للصحة الإسلامية ميزاناً نزل به نظم الحكم الإسلامية في تاريخ الإسلام.



٨- الاستقلال الحضاري الشامل.. وسيادة الأمة:

وفي مواجهة الذين اكتفوا من عقائد «الاستقلال» بالاستقلال السياسي - الذي يقف عند «القلم» و«النشيد» - دعا الأستاذ البنا إلى الاستقلال الشامل الذي يحقق «سيادة الأمة»:

«لأن الإسلام لا يرضى من أبنائه بأقل من الحرية والاستقلال، فضلاً عن السيادة وإعلان الجهاد، ولو كلفهم ذلك الدم والمال» (١٢). والاستقلال

(١) مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا، رسالة بين الأسى واليأس، ص ١٣١، ١٣٢.

(٢) المصدر السابق: رسالة المؤتمر الخامس، ص ١٨٤، ١٨٥.

الاقتصادي للأمة . . وليس لقطر واحد من أقطارها - فالهدف هو تحقيق نظام اقتصادى استقلالى للثروة والمال والدولة والأفراد^(١) . والتقدم، ذلك أن الرابطة بيننا وبين أمم العروبة والإسلام تمهد لنا سبيل الاكتفاء الذاتى والاستقلال الاقتصادى، وتنفذ من التحكم الغربى فى التصدير والاستيراد وما إليهما^(٢) . . والاستقلال الحضارى، الذى يعيد لأمة الإسلام وحضارته مكانة الإمامة للدنيا وموقع الشهادة على العالمين . . . « فلقد كانت قيادة النبىء، فى وقت ما، شرقية بحتة، ثم صارت بعد ظهور اليونان والرومان غربية، ثم نقلتها النبوات إلى الشرق مرة ثانية، ثم غفا الشرق غفوة الكبرى، ونهض الغرب نهضته الحديثة، فورت العرب القيادة العالمية ».

وهنا هو ذا الغرب يضم ويجور ويظفى ويحار ويخطئ، فلم تبق إلا أن تمت يد « شرقية » قوية، بظلمها لواء الله، وتخلق على رأسها راية القرآن، ويمدها جند الإيمان القوى المتين، فإذا الدنيا مسلمة هائنة، وإذا بالعوائم كلها هائفة، ﴿ الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا ﴾ [الأعراف: ٤٣] ^(٣).

إنه استقلال الحضارة « المتميزة » - لا « المتخالفة » ولا « التابعة » - ذلك أن « الإسلام لا يأبى أن يقتبس النافع، وأن ناخذ الحكمة أئى وجدناها، ولكنه يأبى كل الإباء أن نتشبه فى كل شيء بمن ليسوا من دين الله على شيء ».

(١) انظر السابق رسالة الإخوان المسلمون تحت راية القرآن، ص ١.

(٢) انظر السابق رسالة مشكلاتنا فى ضوء النظام الإسلامى، ص ٢٣٨، ٢٤٣، ٢٤٤.

(٣) انظر السابق رسالة نجم التور، ص ٦.

وأن نظرح عقائده وفرائضه وحدوده وأحكامه لتجربى وراء قوم قسنتهم الدنيا واستهوتهم الشياطين.. (١)

٩- تكامل دوائر الانتماء: الوطنى.. والقومى.. والاسلامى.. والانسانى.

وفي مواجهة المصطلح العربى «حبلى الأقاليم» والاعرابى «لكل من الوطنى» والقومية».. والذى وجد له دعامة وأجراناً تحددت بعضها عند «الوطنية الإقليمية».. وتحددت بعضها الآخر عند «القومية العنصرية».. والفعل الآخر «كرد فعل» - المتناقضات بين الإسلام وبين الوطنى والقومية.. فى مواجهة هذا الغلو، رأينا الأمانة البنا بعبء «التجديد» المنهج الإسلامى الذى يتركب بين جميع دوائر الانتماء - الوطنى.. والقومى.. والاسلامى.. والانسانى - فسلكتها جميعاً فى سلم واحد.. فبعض

١- أن «الإخوان المسلمين يحبون وطنهم» ويحرصون على وحدته بقومية بهذا الاعتبار، ولا يجدون غشابة على أى إنسان أن يحتسب لبلده.. وأن يفتى فى سبيل قومه، وأن يحمى لوطنه كل محبة وكل عمر وفخر..

إن الإخوان المسلمين يحترمون قلوبهم الخاصة باعتبارها الأساس الأول للتفويض المشهود.. ولا يرون بأساً أن يعمل كل إنسان لوطنه وأن يقدمه فى العمل على سواء.

هذا من وجهة القومية الخاصة - (الوطنية) ..

(١) المصدر السابق، حصة الإمام بن السور تحت راية القرآن، ص ٩٨.

ب- ثم هم، بعد ذلك، يؤيدون الوحدة العربية، باعتبارها الحلقة الثانية في النهوض...

لقد نشأ الإسلام أخيف عربياً، ووصل إلى الأمم عن طريق العرب، وجاء كتابه الكريم بلسان عربي مبين، وتوحدت الأمم باسمه على هذا الشأن يوم كان المسلمون مسلمين، وقد جاء في الآية: «إذ قال العرب ذلك الإسلام»، وقد تحقق هذا المعنى حين زال سلطان العرب السياسي، وانتقل الأمر من أيديهم إلى أيديهم من الأعاجم والديلم وعن إليهم، فالعرب عصاة الإسلام وحراسه.

وأحب أن أتبه إلى أن الإخوان المسلمين يعتبرون العربية، كما عرفها النبي ﷺ فيما يرويه ابن كثير عن معاذ بن جبل -رضي الله عنه-: «ألا إن العربية اللسان، ألا إن العربية اللسان».

ومن هنا كانت وحدة العرب أمراً لا بد منه لإعادة مجد الإسلام وإقامة دولته وإعزاز سلطانه -ومن هنا على كل مسلم أن يعمل لإحياء الوحدة- وتأييدها ومناصرتها. فالوحدة العربية هي الحلقة الثالثة في النهوض. وهذا هو موقف الإخوان المسلمين من الوحدة العربية.

ج- بقى أن نحدد موقفنا من الوحدة الإسلامية.

والحق أن الإسلام، كما هو عقيدة وعقيدة، هو وطن وحسية، وأنه قد قضى المشرق المسبية بين الشرق، فالله تبارك وتعالى يقول: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠] أو النبي ﷺ يقول: «المسلم أخو المسلم»، «المسلمون تكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم، وهم يد على من سواهم».

ولذلك، فالإخوان المسلمون يعملون للجامعة الإسلامية، باعتبارها السياج الكامل للوطن الإسلامي العام.

د- أما الخلافة الإسلامية، فإن الإخوان المسلمين يعتقدون أنها رمز الوحدة الإسلامية، ومظهر الارتباط بين أمم الإسلام، وأنها شعيرة إسلامية يجب على المسلمين التفكير في أمرها والاهتمام بشأنها.

والخليفة مناط كثير من الأحكام في دين الله، ولهذا قدم الصحابة - رضوان الله عليهم - النظر في شأنها على النظر في تجهيز النبي ﷺ ودفعته، حتى فرغوا من تلك المهمة واطمأنوا إلى إنجازها.

والأحاديث التي وردت في وجوب نصب الإمام وبيان أحكام الإمامة وتفضيل ما يتعلق بها لا تدع مجالاً للشك في أن من واجب المسلمين أن يهتموا بالتفكير في أمر خلافتهم منذ حُورَتْ عن مناهجها، ثم ألغيت. - إلى الآن.

والإخوان المسلمون لهذا يجعلون فكرة الخلافة والعمل لإعادتها في رأس مناهجهم. وهم، مع هذا، يعتقدون أن ذلك يحتاج إلى كثير من التسهيلات التي لا بد منها، وأن الخطوة المباشرة لإعادة الخلافة لا بد أن تسبقها خطوات:

١- لا بد من تعاون تام، ثقافي واجتماعي واقتصادي، بين الشعوب الإسلامية كلها.

٢- يلي ذلك تكوين الأحلاف والمعاهدات وعقد المجامع والمؤتمرات بين هذه البلاد.

٣- يلي ذلك تكوين عصبة الأمم الإسلامية.

٤- حتى إذا استوثق ذلك للمسلمين كان عنه الإجماع على «الإمام» الذى هو واسطة العقد، ومجمع الشمل، ومهوى الأفتنة، وظل الله فى الأرض^(١).

هـ- ولى أن أقول، بعد هذا: إن الإخوان يريدون الخير للعالم كله، فهم ينادون بالوحدة العالمية، لأن هذا هو مرمى الإسلام وهدفه، ومعنى قول الله، تبارك وتعالى: ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

وأنا فى غنى بعد هذا البيان، عن أن أقول: إنه لا تعارض بين هذه الوحدات بهذا الاعتبار، وبأن كلا منها تشد أزر الأخرى، وتحقق الغاية منها^(٢)، لقد وفق الإسلام بين شعور الوطنية الخاصة وشعور الوطنية العامة^(٣).

فإذا أراد أقوام أن يتخذوا من المناداة بالقومية الخاصة -[أى الوطنية]- سلاحاً يميمت الشعور بما عداها، فالإخوان المسلمون ليسوا معهم، ولعل هذا هو الفارق بيننا وبين كثير من الناس^(٤).

و- أما مصر، فإنها قطعة من أرض الإسلام، وزعيمة أمم^(٥) وفى

(١) من بقى رسالة الدكتور عبد الرزاق السهورى عن [فقه الخلافة وتطورها لتصبح عصبة أمم شرقية] والى آخرها ما بين سنة ١٩٣٦م - يبين إلى أن الأستاذ السبكي بعدد عن فكرة السهورى فى خطوات إحياء الخلافة الإسلامية.

(٢) رسالة المؤتمر الخامس ص ٤٥ - ٥٠، طبعة دار الاعتصام، القاهرة سنة ١٩٧٧م.

(٣) مجموعة رسائل الإمام الشهيد: رسالة نحو الثورة، ص ٦٢، ٦٣.

(٤) رسالة المؤتمر الخامس، ص ٥ - طبعة دار الاعتصام.

(٥) مجموعة الرسائل، رسالة إلى الشباب، ص ٨٨.

للقدمية من دول الإسلام وشعوبه^(١) ونحن نرجو أن تقوم في مصر دولة مسلمة، تحتضن الإسلام، وتجمع كلمة العرب، وتعمل خير، وتحمي المسلمين في أكناف الأرض من عدوان كل ذي عدوان، وتنتشر كلمة الله وتبلغ رسالته... فالمصرية لها في دعوتنا مكانتها وميراثها وحققها في الكفاح والنضال... ونحن نعتقد أننا حين نعمل للمعروفة بعمل للإسلام ولخير العالم كله...^(٢)

هكذا صاغ الأستاذ البنا في هذه العبارات البالغة النضال، وبهذا الأسلوب العلمي، أهم النظريات السياسية والاجتماعية المعاصرة في تعدد وتكامل دوائر الانتماء - الوطنية... والقومية... والإسلامية... والإنسانية... مع الإشارة إلى دور مصر - الزائد والقائد - في تحقيق هذه الوحدة المنشودة لأمة الإسلام...

الأمر الذي يستوجب على أهل الغزو - أكابوا وضييغ يدبرون - نظير ما وراء الوطن - الإقليم - أو قوميين - يعملون الوطنية ويدبرون الظلم ما وراء القومية - أو إسلاميين - يفعلوا تناقضاً مزعوماً بين الإسلامية وبين الوطنية والقوميات... الأمر الذي يستوجب على سائر هؤلاء القسلة أن يسموا النظر في هذا الذي كتب الأستاذ البنا في هذا الموضوع...

فكل هذه الدوائر للانتماء هي درجات في سلم الانتماء الواحد... يصعد عليها الإنسان المسلم - عبادة أو حضارة - يوماً تافضاً... ويعتارة

(١) انظر السور، حاشية الأحرار، السور، حاشية الأحرار، ص ٩٩.

(٢) المصدر السابق، رسالة دعوتنا في عهد جديد، ص ١١٢ - ١١٤.

الأسناد الثاني: «فكل منها تنهد أزر الأخرى، وتحقق أنغية منها، دون تعارض بين هذه الوحدات بهذا الاعتبار...».



١٠- رفض التكفير لمن يشهد أن لا إله إلا الله محمد رسول الله،

وفي مواجهة الغلاة الذين لا يرون في المجتمعات الإسلامية، وفي عقائد المسلمين المعاصرين إلا شوائب الكفر والجاهلية، فيحكمون بهما على الأمة... أو على النظم والحكومات والمجتمعات... في مواجهة هؤلاء الغلاة يقدم المشروع التجديدي للأسناد البنا الموقف الإسلامي الأصلي والمتوازن...

«نحن لا نكفر مسلماً أقر بالشهادتين وعمل بمقتضاها وأدى الفرائض -برأى أو معصية- إلا إن أقر بكلمة الكفر، أو أنكر معلوماً من الدين بالضرورة، أو كذب صريح القرآن، أو فسر على وجه لا تحتمله أساليب اللغة العربية بحال، أو عمل عملاً لا يحتمل تأويلاً غير الكفر»^(١).

ولقد اندمجت مصر بكليتها في الإسلام بكليته، عقيدته ولغته وحضارته، ودافعت عنه وزادت عن حياضه وزادت عنه عادة المعتدلين... ومن هنا بدت مظاهر الإسلام قوية فياضة زاهرة دافقة في كثير من جوانب الحياة المصرية، فأسماءها إسلامية، ولغتها عربية، وهذه المساجد العظيمة يذكر فيها اسم الله ويعلم منها نداء الحق صباح مساء... وهذه مشاعر لا تهتز لشيء اهتزازها للإسلام وما يتصل بالإسلام».

(١) المصدر السابق: رسالة التعاليم، ص ٢٧١.

والمعركة قائمة بيننا وبين الشوائب التي وقفت إلينا من الحضارة الغربية ، تلك الحضارة التي عزتنا غزواً قوياً . . فانحسر ظل الإسلاميّة عن الحياة المصريّة في كثير من شئونها الهامة ، واندفعنا لغير أوضاعنا الحيويّة ونصنع معظمها بالصيغة الأوروبيّة ، وحصرنا سلطان الإسلام في حياتنا على القلوب والمخاريب ، وفصلنا عنه شئون الحياة العمليّة ، وباعدنا بينه وبينها مباعضة شديدة ، وبهذا أصبحنا نحيا حياة ثنائيّة متذبذبة أو متناقضة . . « (١) .

فالمعركة معركة تنقية المجتمعات الإسلاميّة من الدخيل ، الذي أقام فيها الثنائيّة والتذبذب بين روح الإسلام وبين الروح الإلحادية ، روح اللذّة والشهوة ، الذي تميزت به الحضارة الغربيّة . . وليست معركة الإسلام مع مجتمعات ارتدت عن الإسلام ونوره إلى جاهليّة جديدة ، هي أشد ظلاماً من الجاهليّة الأولى . . كما زعم ويزعّم الغلاة الذين انحرفوا عن منهاج الإسلام الذي تبنّاه الأستاذ البنا . .

١١- في العدل الاجتماعي ، فقه الواقع .. وبرنامجه الإصلاح

وفي مواجهة المظالم الاجتماعيّة التي تطحن سواد الأمة - من قبل النهب الاستعماري . . ومن قبل الاستغلال الطبقي المحلي - قدم الأستاذ البنا صفحة من أروع صفحات العدالة الاجتماعيّة مطبقة على واقعنا المعاصر والمعيش . .

(١) المصدر السابق . رسالة دعوتنا في طور جديد ، ص ١٢٠ ، ١٢١ .

فانطلاقاً من فلسفة الاستخلاف الإلهي للإنسان في الثروات والأموال، البريثة من غلو الرأسمالية المتوحشة.. وغلو الشيوعية المصادمة لفضرة الإنسان.. تحدث الأستاذ البنا عن الواقع الاجتماعي البائس للشعب وسواد الأمة.. وقدم الحلول المدروسة واثناجعة لهذا الداء الاجتماعي الذي يشمل طاقات البناء والانتماء لدى الملايين..

لقد جعل النهب الاستعماري ثروات بلادنا الفئان الشعبي سيد درويش [١٣٠٩ - ١٣٤٢ هـ - ١٨٩٢ - ١٩٢٣ م] يغنى فيقول:

﴿ يا مصر خيرك في يد غيرك طلع برة ﴾

وجاء الإمام حسن البنا ليتبى على دور هذا النهب الاستعماري لخيرات البلاد في «انتشار» الجماعة.. وفي دعوتها لإقامة العدل الاجتماعي بين الناس.. فقال:

«إن الدعوة نشأت بالإسماعيلية.. يغذيها وينميها ما نرى كل صباح وعساء من مظاهر الاحتلال الأجنبي والاستثمار الأوروبي بخير هذا البلد.. فهذه فتاة السويس علة الداء وأصل البلاء..

وفي الغرب: المعسكر الإنجليزي بأدواته ومعداته.

وفي الشرق: المكتب العام لإدارة شركة القناة بأثاثه ورياشه ومرتبته.

والمصري غريب بين كل هذه الأجواء في بلده، محروم، وغيره بنعم بخبر وطنه، ذليل، والأجنبي يعتز بما يغتصبه من موارد رزقه.

كان هذا الشعور غذاء وممدداً لدعوة الإخوان، فبسطت روافدها في منطقة القناة، ثم تخطتها^(١)، إن المراقق العامة، وكل الشافع الهامة في جميع أنحاء البلاد، ودولاب التجارة والصناعة، والمنشآت الاقتصادية كلها في أيدي الأجانب المراكبين، - تسيطر عليها أكثر من ٣٢ شركة أجنبية^(٢).

والثروة العقارية تنتقل بسرعة البرق من أيدي الوطنيين إلى أيدي هؤلاء الأجانب، - فالبلد ليس فقير، ولكن النهب الاقتصادي الأجنبي جعل الأجانب الذين احتلوه أسعد حالاً من أهلهم وبنينهم^(٣) وهذا الغنى الذي يحقته الأجانب من نهب ثروات مصر المسلمة، يقابله فقر مدقع يفتحل المواطنين المصريين..

«فأكثر من ٦٠٪ من المصريين يعيشون أقل من سعيشة خيوان، ولا يحصلون على القوت إلا بشق النفس».. والبلاد مهتدة بمجاعة قاتلة، ومعرضة لكثير من المشكلات الاقتصادية.. وهي في أكثر بلاد العالم المتمدن أمراضاً وأوتة وعاهات.. وأكثر من ٩٠٪ من الشعب المصري مهدد بصعق البنية، وفقد الخواص، ومختلف العلل والأمراض، - وهي - [مصر] - لا زالت جاهزة، لم يصل عدد المعلمين فيها إلى الخمس.. والجرائم تصاعفت، حتى إن السجناء يخرج أكثر مما تخرج المدارس!.. ومصر هذه لم تستطع إلى الآن أن تجهز فرقة واحدة في الجيش كاملة المعدات!..

(١) المصدر السابق، رسالة المؤتمر الخامس من ١٦٥، ١٦٦.

(٢) المصدر السابق، رسالة بين الأمم واليوم، من ١٥٢.

(٣) المصدر السابق، رسالة مشكلاتنا في ضوء النظام الإسلامي من ٢٣١.

وكذلك حال كل بلد من بلدان العالم الإسلامى...» (١١)

وبعد فقد هذا الواقع الاقتصادى والاجتماعى، الذى تألق فيه الأستاذ البنا كإمام فى فقه الواقع كما هو حاله فى فقه الأحكام... أخذ فى تنزيل الأحكام الإسلامية على هذا الواقع المعاصر والمعيش غدا إلى:

أ- «نظام اقتصادى استقلالى للثروة والمال والدولة والأفراد، أساسه قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَزُولُوا السَّعْيَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا﴾ [النساء: ٥]» (١٢).

ب- «استقلال بقلنا عن فلك الاستعمار».

ج- «وتخصير الشركات، وإحلال رؤوس الأموال الوطنية محل رؤوس الأموال الأجنبية كلما أمكن ذلك».

د- «وتخليص المرافق العامة -وهى أهم شئ- للأمة- من يد غير أبنائها، فلا يصح بحال أن تكون هذه المرافق بيد شركات أجنبية، تبلغ رؤوس أموالها وأرباحها الملايين من الجنيهات، ولا يصيب الجمهور الوطنى ولا العامل الوطنى منها إلا البؤس والشتاء والحرمان».

هـ- «والعناية بالمشروعات الوطنية الكبرى، المهملة، التى طُلِّقَ عليها الأمداء!... ويجب التحول إلى الصناعة فوراً... فهذا التحول هو روح الإسلام!... مع تشجيع الصناعات اليدوية المنزلية... وإرشاد الشعب

(١) المصدر السابق: رسالة بين الأمن واليوم، ص ١٤٩.

(٢) المصدر السابق: رسالة الإخوان المسلمون تحت راية القرآن، ص ١.

إلى التقليل من الكماليات، والاكتفاء بالضروريات، وأن يكون الكبار في ذلك قدوة للصغار».

و- ويجب تكامل التنمية بين بلاد الإسلام، ذلك «أن الرابطة بيننا وبين أعمم العربوية والإسلام... تمهد لنا سبيل الاكتفاء الذاتي والاستقلال الاقتصادي، وتصدقنا من هذا التحكم العربي في التصدير والاستيراد وما إليهما»^(١١).

«فالجهد الاقتصادي يجب أن يتوجه إلى خدمة الثروة الإسلامية، بتشجيع المصنوعات والمنشآت الاقتصادية الإسلامية... والفرش الإسلامي يجب أن لا يقع في يد غير إسلامية مهما كانت الأحوال، فلا ننس ولا ناكل إلا ما صنع في وطننا الإسلامي»^(١٢).

د- كذلك يجب إصلاح الخلل المتمثل «في التفاوت العظيم، والسوء الشاسع، والفرق العظيم بين الطبقات المختلفة في هذا الشعب» والذي أدى إلى وجود «ثراء فاحش وفقير مدقع، والطبقة المتوسطة تكاد تكون معدومة... وذلك بتقريب الشقة بين مختلف الطبقات، تقريباً بقضى على الثراء الفاحش والفقير المدقع».

ج- «ومحاربة الربا... وجمع الزكاة... وفرض ضرائب اجتماعية على النظام التصاعدي... بحسب المال لا بحسب الربح» - يعنى منها الفقراء

(١١) المصدر السابق. مسألة مشكلاتنا في ضوء النظام الإسلامي. ص ٢٣٨ - ٢٤٠، ٢٤٣.

(٢) المصدر السابق. رسالة التعاليم. ص ٢٧٩.

طبعاً، ونجنى من الأغنياء الموسرين، وتتفق في رفع مستوى المعيشة بكل الوسائل المستطاعة^(١)، والتوسط بين الأغنياء الغافلين والفقراء المعوزين، بتنظيم الإحسان وجمع الصدقات لتوزع في المواسم والأعياد^(٢).

ح- وإصلاح الحلل المتمثل في التفاوت الفاحش بين الملكيات الزراعية في الريف، ذلك أن روح الإسلام الحنيف وقواعده الأساسية في الاقتصاد القومي، توجب علينا أن نعبء النظر في الملكيات في مصر، فنختصر الملكيات الكبيرة، ونعوض أصحابها عن حقهم بما هو أجدى عليهم وعلى المجتمع، ونشجع الملكيات الصغيرة، وأن نوزع أملاك الحكومة على هؤلاء الصغار، حتى يشعر الفقراء المعتمدون بأنه قد أصبح لهم في هذا الوطن ما يعينهم أمره ويهيمهم شأنه^(٣).



هكذا كان فقه الواقع الاقتصادى والاجتماعى... وفقه الأحكام الإسلامية في الثروات والأموال... وتنزيل الأحكام على الواقع... كما تجلّى في المشروع الحضارى للإمام الشهيد حسن انبساط... ابن كلية دار العلوم... الذى تقرق - فى هذا الميدان على كل الأحزاب والجماعات والجمعيات التى عاصره... وسبق كل علماء الاجتماع... بل وحتى تيارات الشيوعية والاشتراكية، فى معالجة معضلات الفقر والتنمية

(١) المصدر السابق. رسالة مشكلاتنا في ضوء النظام الإسلامى. ص ٣٣٦، ٣٣٣، ٣٤٢.

(٢) المصدر السابق. رسالة دعوتنا في ضوء حديد. ص ١٢٣.

(٣) المصدر السابق. رسالة مشكلاتنا في ضوء النظام الإسلامى. ص ٣٤٢.

والثروات والأموال.. ومآسى التهب والاستغلال، سواء منه الاستعماري الأجنبي أو الذي يمارسه «المستغلون الوطنيون»!!..

١٢- سنة التدرج في الإصلاح،

ولأن الإسلام دين الوسطية، فلقد اعتمد سنة التدرج في الإصلاح، وهذا التدرج هو وسط بين «الجمود والثبات» وبين «الطفرة والانقلاب»! وهذه السنة في التدرج، هي سنة عامة في كل عوالم الخلق، وفي سائر ميادين الاجتماع، وكذلك في عوالم الأفكار..

لقد نزلت الشرائع بالتدرج.. ونزلت أحكامها على الواقع والواقع بالتدرج.. وتكوّنت الثقافات -التي مثلت عمران النفوس الإنسانية- بالتدرج.. وقامت المذنبات -التي مثلت عمران الواقع المادي- أي أن كل ألوان الإصلاح قد حدثت وتحدث بالتدرج.. وكذلك الحال في التراجع والتخلف عن معالم الإصلاح ومنظومات قيمه وتشريعاته، حدث ويحدث -هو الآخر- بالتدرج..

والناظر في منهج النبوة وتطبيقاته.. وفي التراجع النسبي الذي تم بعد عصر الراشدين عن جوانب من هذا المنهاج -وخاصة في الشورى والعدل الاجتماعي عن قبل الدولة- ثم في مشاريع الإصلاح والتجديد التي بدأت -على مستوى الدولة- بالراشد الخامس عمر بن عبد العزيز [٦١١-٦٨١هـ] ٧٢٠م -رضى الله عنه- الناظر في كل ذلك يجد المنهاج

الإسلامى، الذى يؤكد ويتجلى إلى سنة التدرج فى الإصلاح، واضحاً كل الوضوح .

وانطلاقاً من هذه السنة -الكونية- والاجتماعية- الحاكمة للإصلاح الحقيقى -وليس الهيات العقوية- . والانقلابات العنيفة- واجه الأستاذ البنا «المتعجلين» الذين يريدون الوصول السريع إلى «المقاصد» دون المرور «بدرجات السلم» الموصلة إلى هذه «المقاصد» . ونبه على خطورة التطلع إلى تحقيق «الغايات» دون التأسيس لمفومات هذه الغايات . وسلوك طريق «المراحل» التى تقضى إلى هذه الغايات .

ذلك أن المنهاج الإسلامى فى الإصلاح ليس منهج الففز المباشر على «الدولة» . وإنما هو منهج التربية «اللامية» أولاً، لتأتى «الدولة» بعد ذلك ثمرة ناضجة نضوجاً طبيعياً، ولتجد هذه «الدولة» «أمة» مهيأة ومستعدة للمنهج الإصلاحى لهذه الدولة الجديدة . فضلاً عن رجالات هذه الدولة الجديدة وإطارات مؤسساتها .

فإصلاح الأصون أولاً . وإعادة صياغة الإنسان هى نقطة البدء، وتكوين الجيل «الواعى» و«القادر» على حمل الرسالة الإصلاحية . هو المهمة الأولى لآى رائد من رواد الإصلاح الحقيقى فى منهج الإسلام . وما تجربة النبوة، وصناعة «أخيل القريد» فى المرحلة الملكية، لتأتى بعد ذلك «الدولة» و«القانون» و«المؤسسات» و«الفتوحات» و«المسيحات» - داخلية وخارجية- إلا الشهادة الصادقة على أن هذا هو منهج الإسلام فى الإصلاح .

وفي حالة الأسناد البنا ودعوته وحركته، فإننا نلمح وعيه بهذه الحقيقة حتى وهو لا يزال في مرحلة التفكير بمشروعه الإصلاحى - قبل تكوين الجماعة سنة ١٩٢٨م .. فهو يتحدث عن الزلازل التى أصابت الإسلام وأمته ودولته .. ويقول: «إنها ألهمت نفسى، وأهاجرت كوامن الشجر فى قلبى، ولفتت نظرى إلى وجوب الجهد والعمل - وسلوك طريق التكوين بعد التثبيته، والتأسيس بعد التدريس»^(١) .. فباجته والعمل نغضع المراحل:

- ١- التثبيته ..
- ٢- والتكوين ..
- ٣- والتدريس ..
- ٤- والتأسيس ..

نعم .. كان الرجل واعياً بحقيقة منه التدرج والمرحلية فى هذا المشروع الإصلاحى .. وانطلاقاً من هذا الوعى، تحدث إلى «الشعخين» الذين يريدون «حرق المراحل»! فقال:

«أيها الإخوان المسلمون .. وبخاصة المتحمسون المتعجلون منكم .. اسمعوهما منى كلمة داوية .. إن طريقكم هذا مرسومة خطواته، مرسومة حدوده، وليست مخالفاً هذه الحدود التى افتتعت كل الانساع بالله اسمه طريق للوصول ..»

(١) المصدر السابق - رسالة الإمام الخامس - ص ١٤، ١٥.

أجل! قد تكون طريقًا طويلة، ولكن ليس هناك غيرها. إنما تظهر الرجولة بالصبر والمثابرة والجد والعمل الدائب، فمن أراد منكم أن يستعجل ثمرة قبل نضجها أو يقتطف زهرة قبل أوانها فليست معه في ذلك بحال، وخير له أن ينصرف عن هذه الدعوة إلى غيرها من الدعوات. ومن صبر معي حتى تنمو البذرة. وتنبت الشجرة. وتصلح الثمرة ويحسين النضاف. فأجره في ذلك على الله، ولن يمتوتنا وإياه أجر المحسنين: إما النصر والسيادة، وإما الشهادة والسعادة..

أجمعوا نزوات العواطف بنظرات العتول. ولا تصادسوا نواويس الكون فإنها غلبة، ولكن غالبوها واستخدموها وحركوا تيارها، واستعملوا ببعضها على بعض، وثقفوا ساعة النصر، وما هم منكم ببعيد!

أريد أن أكون صريحًا معكم للغاية، فلم تعد تنفعنا إلا المصارحة. أعدوا أنفسكم.. وفي الوقت الذي يكون فيه منكم ثلاثمائة كتيبة قد جهزت كل منها نفسها روحياً بالإيمان والعزيمة، وفكرياً بالعلم والثقافة، وحسبياً بالتدريب والرياضة، في هذا الوقت طالبوني بأن أخوض بكم خج البحار، وأقتحم بكم عتات السماء، واغزو بكم كل جهاز عبيد، فإني فاعل إن شاء الله^(١)!

١٢- القوة.. والثورة.

وانطلاقاً من هذا المنهج في التدرج بالإصلاح، ورفض القفز على المراحل، وخرق تسلسلها.. عرض الأستاذ البنا للمسوقف من «الثورة».. فتحدث عن أن الإسلام إنما جاء ثورة كبرى بكل ما تحمل هذه الكلمة من مضامين، وفي كل ميادين الإصلاح والتغيير.. فهو الذي قلّ وينقل الناس والمجتمعات من الجاهلية إلى الإيمان.. ومن الظلمات إلى النور.. وهو الذي يحيى موت النفوس والمجتمعات بما يحدثه فيها ولها من تغيير جذري وعميق وشامل في كل الميادين.. وعن هذه الحقيقة قال الأستاذ البنا:

«إن الإسلام ثورة بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى، يرتزل الأوضاع الفاسدة، ويحطم صروح البغي والعدوان الشاسخة، ويجدد معالم الحياة وأوضاعها، ويقيمها على أثبت الدعائم.

إنه ثورة على الجهل.. وثورة على الظلم بكل معانيه: ظلم الحاكم للمحكوم.. وظلم الغنى للفقير.. وظلم القوى للضعيف..

وثورة على الضعف بكل عظائره ولواحيه. ضعف النفوس بالنسج والإثم، وضعف الرؤوس بالعباء والعقم، وضعف الأبدان بالشبهات والسقم»^(١)



(١) [الفكر الإسلامي للإمام حسن البنا] ص ٣٦٩ - وهو ينقل عن جريدة الإخوان المسلمين اليومية - ٢٣ شوال سنة ١٣٦٥ هـ - ١٩ سبتمبر سنة ١٩٤٦ م

لكن الأستاذ البنا ينبه على أن [الجماعة] ليس في ليثها استخدام «العنف الثوري» الذي تخشاه الحكومات، لأن منهج الجماعة هو الإصلاح بالإسلام، وفق منهاج التدرج. وعبر الإعداد المرحلي. . . اللهم إلا إذا فرض الآخرون على [الجماعة] هذا العنف الثوري، باستخدامه ضدها، وعندئذ تكون مكرمة على رد العدوان بمثله! . . .

وفي صياغة هذه «المعادلة الصعبة»، ميز بين «إعداد القوة» -التي هي طريق الإصلاح والتغيير- وبين «الثورة» -التي هي «أعنف مظاهر القوة»- والتي لن يلجأ إليها [الإخوان] ابتداءً، ولن يسلكوا سبيلها إلا إذا قُرض عليهم، كما يُفرض القتال على المؤمنين -وهم له كارهون-! . . .

وفي تحديد هذا المسار -الدقيق. . . والشائك- قال الأستاذ البنا:

«يساءل كثير من الناس: هل في عزم الإخوان المسلمين أن يستخدموا القوة في تحقيق أغراضهم والوصول إلى غايتهم؟

وهل يشكر الإخوان المسلمون في إعداد ثورة عامة على النظام السياسي أو النظام الاجتماعي في مصر؟ . . . أما القوة، فتعازر الإسلام في كل نظمته وتشريعاته! . . . فالإخوان لابد أن يكونوا أقوياء، ولابد أن يعملوا في قوة. . . وأول درجة من درجات القوة: قوة العقيدة والإيمان، وبيلي ذلك: قوة الوحدة والارتباط، ثم بعدهما قوة الساعد والسلاح.

والثورة: أعنف مظاهر القوة. . .

إن الإخوان سيستخدمون القوة العملية حيث لا يجدى غيرها، وحيث يشقون أنهم قد استكملوا عدة الإيمان والوحدة.

أما الثورة فلا يفكر الإخوان المسلمون فيها . وإن كانوا يصارحون . بأن الحال إذا دامت على هذا المنوال فسيؤدي حتما إلى ثورة^(١) . إلى أرى الوميض خلال الرماد ويوشك أن يكون له صرام^(٢) .

أيها الإخوان! إن قبل لكم: أنتم دعاة ثورة، فقولوا: نحن دعاة حق وسلام نعتقده ونعتر به، فإن ثرت علينا، ووقفتم في طريق دعوتنا، فقد آذن الله أن تدفع عن أنفسنا، وتكتم البائسين الظالمين^(٣).

هكذا حدد الرجل أن التدرج في الإصلاح، والمرحلية هي سبيل الإصلاح والتغيير . وأن القوة هي السبيل لتقطع هذه المراحل، والوصول إلى المقاصد والغايات:

« الإصلاح بالإسلام .

« تحرير الوطن الإسلامي .

(١) مجموعة رسائل الإمام الشهيد: رسالة المؤتمر الخامس، ص ١٦٨ - ١٧٠.

(٢) المصدر السابق - رسالة مشكلاتنا في ضوء النظام الإسلامي، ص ١٩٦.

(٣) المصدر السابق - رسالة بين الأمر واليوم، ص ١٤٤.

﴿ وإقامة الدولة الإسلامية . . ﴾

﴿ وإعادة الأمة كلها إلى كامل شريعة الإسلام . . ﴾

وعكذا تألّف التجديد الإسلامي في هذا المشروع الحضاري لهذا المقصد العظيم: الإمام الشهيد الشيخ حسن البنا... الرجل الملهم والبارك والرياني . .

والذي لا تغالي إذا قلنا إنه «ودعوته وجماعته» قد مثلوا أبور معالم التجديد -على مستوى جمهور الأمة- في القرن الرابع عشر الهجري -العشرين الميلادي . .

والذي بارك الله في «السيرة» التي بذرها -كما لم يبارك في بذرة أخرى -على كثرة «البذور» التي بذرت في ذلك التاريخ - حتى وصلت آثارها إلى كل فساتن الأرض وجميع مدن هذا العالم الذي تعيش فيه . .

وإذا كانت سطور هذه الصفحات قد قدمت إشارات إلى بعض معالم هذا المشروع الحضاري الذي صاغه هذا الإمام الشهيد . . فإن هناك حقائق كثيرة يمكن الإشارة إليها في هذا الختام . . ومنها:

﴿ أن الدراسة الوافية لهذا المشروع الإصلاحي لن تنأى إلا بعد جمع والتحقيق والدراسة والنشر للأعمال الفكرية الكافية للأستاذ البنا - ونوحيها توبياً موضوعياً وتاريخياً - . .

❖ وأن الناظر في معالم مشروعه الحضاري يتمنى أن ترتفع الصفحة الإسلامية إلى الأفاق التي خلق فيها هذا الإمام العظيم!

رحمه الله رحمة واسعة.. وبارك في العطاء الذي قدمه، وفي الجهاد الذي جاهد به، وسدد الخطا على هذا الدرب، بتجديد دنيا المسلمين بتجديد دين الإسلام.

❖ ❖ ❖

المصادر والمراجع

- د. إبراهيم البيومي غانم: [الفكر السياسي للإمام حسن البنا] طبعة القاهرة- دار التوزيع والنشر الإسلامية، سنة ١٤١٢ هـ سنة ١٩٩٢ م.
- الأفغانى -جمال الدين-: [الأعمال الكاملة] دراسة وتحقيق: د. محمد عمارة، طبعة القاهرة سنة ١٩٦٨ م وطبعة بيروت سنة ١٩٧٩ م.
- حسن البنا: [مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا] طبعة القاهرة- دار الشهاب- بدون تاريخ .
- [مذكرات الدعوة والداعية] طبعة القاهرة- دار الشهاب- بدون تاريخ .
- الزركلى- خير الدين-: [الأعلام] طبعة بيروت- الثالثة- .
- محمد عبده: [الأعمال الكاملة] دراسة وتحقيق: د. محمد عمارة، طبعة بيروت سنة ١٩٧٢ م وطبعة القاهرة سنة ١٩٩٣ م.
- محمد عبد الجواد: [تقويم دار العلوم] المجلد الأول، طبعة القاهرة سنة ١٤١٠ هـ سنة ١٩٩٠ م.
- د. محمد عمارة: [الصحوة الإسلامية والتحدى الحضارى] طبعة القاهرة- دار الشروق سنة ١٩٩١ م.
- [الثواب والمتغيرات فى البقظة الإسلامية الحديثة] طبعة القاهرة- دار نهضة مصر سنة ١٩٩٧ .

الفهرس

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
١- بقاء حياة.....	٣	الحضارة المادية الغربية.....	٤٨
٢- التأسيس للنقطة الإسلامية الحديثة.....	١٩	٦- التمييز بين المقدس والمعصوم، وبين التراث الفكري والتفكير.....	٥٠
٣- تصاعد التحدي، وعموم البيلوي.....	٢٩	٧- التفكر لتاريخ الدولة، ومشاهج الفكر في التاريخ الإسلامي.....	٥٣
٤- الجامعة الإسلامية في طور جديد.....	٣٥	٨- الاستقلال الحضاري الشامل، وسيادة الأمة.....	٥٤
٥- من معالم التجديد في مشروعه الحضاري.....	٣٩	٩- تكامل دوائر الانتماء الوطني، والقومي.....	٥٦
١- التميز عن المؤسسات الدينية التقليدية.....	٣٩	والإسلامي، والإنساني.....	٥٦
٢- الجمع بين «النظر العقلي» والنظر الشرعي.....	٤١	١- رفض التكفير لمن يشهد أن لا إله إلا الله محمد رسول الله.....	٦١
٣- مرونة الشريعة، والانفتاح على الحكمة الإنسانية.....	٤٤	١١- في العنصر الاجتماعي.....	٦٢
٤- إسلامية النظام السياسي الدستوري.....	٤٦	١٢- منهج التدرج في الإصلاح.....	٦٨
٥- رفض التغريب، وتقد		١٣- القوة، والشورى.....	٧٢
		المصادر والمراجع.....	٧٧
		الفهرس.....	٧٩



هذا الكتاب

عن معالم المشروع الحضاري الإسلامي في فكر الإمام الشهيد حسن البنا، والذي بدأ على يد الإمام جمال الدين الأفغاني، حركة تجديد واجتهاد وإحياء تستهدف تحرير العقل المسلم من أغلال الجمود والتقليد؛ ليتمكن من مواجهة التحدي الحضاري الغربي، الذي افتتح حياتنا الفكرية وواقعا الإسلامي.

ثم واصل الشيخ محمد عبده على هذا الطريق، بإلحاح على تركية شعار الإصلاح بالإسلام.

ثم كانت مدرسة المنار التي قادها الشيخ محمد رشيد رضا، الذي وضع الأسس والمعاليم للمشروع الحضاري الإسلامي.

ثم حدثت هذه الأحداث الدامية التي هزت كيان الأمة في ذلك الوقت، وزلزلت وجدان المسلمين، فاستفرتهم للمقاومة، فكانت اللحظة التاريخية التي مثلت التطور النوعي لإنجاز الإمام الشهيد حسن البنا في سياق تطور المشروع الإسلامي للنهضة الحضارية، وتجديد دين الإسلام.

وتلك هي بصمة الإمام الشهيد حسن البنا المتميزة في ظاهرة الصحوة الإسلامية المعاصرة.

نسأل الله أن ينفع به أبناء أمتنا الإسلامية
وهو الهادي، والموفق إلى صراطه المستقيم

الناشر

دار التوزيع والنشر الإسلامية

٢٥١ شارع بورسعيد ت. ٣٩٠٠٥٧٢ فاكس: ٣٩٣١٤٧٥

email: info@eldaaawa.com www: eldaawa.com

